ملخص البحث

في بلاد الأندلس وتحديدًا خلال دولة المرابطين ولمدة نصف قرن من (٤٨٤ إلى ٥٤١هـ) وهي المرحلة الزمنية لحكم المرابطين البربر الوافدين على الأندلس ، في هذه الفترة ضعُف الشعر ، وانحسرت أغراضه ، وانحطت مكانة الشعر والشعراء ، واستشعر المبدع (الشاعر) الغربة النفسية ، وأحس بشرنقة الذات العاجزة عن مواصلة الإبداع – خاصة بعد عصر الطوائف بإلقه الفني ، وتوهجه الشعري في بلاطات الأمراء خاصة المعتمد بن عباد .

وذلك كله بسبب التشدد الديني والانغلاق الفكري تجاه الإبداع الشعري من قبل فقهاء المالكية زمن المرابطين ، والذين عرفوا بالتعنت والقسوة ، والنفور من كل جديد في الدين والأخلاق ، إضافة إلى خشونة الطبع وعُجمة الحكام الجدد الوافدين على الأندلس من المغاربة البربر ، والذين انعدمت لديهم عاطفة تذوق الإبداع الشعري ، أو حتى فهم معانيه ، بداية من رأس دولة المرابطين يوسف بن تاشفين ، وكل رجال دولته الذين ولاهم أمارات الأندلس.

وقد ظهر ذلك الفكر المنغلق حيال الإبداع الشعري بوضوح في كتاب مثل خلاصة الانغلاق والتشدد المذهبي ألا وهو (إحكام صنعة الكلام) لعبد الغفور الكلاعي الفقيه المالكي المرابطي المتشدد ؛ وإزاء هذا الفكر المتشدد تجاه الإبداع الشعري خاصة، والحركية الفكرية عامة في هذا العصر – يَصدق الدكتور / محمد عبد الله عنان إذ أطلق عليه (عصر الديكتاتورية الدينية) .

وفي ظلال الغوص المتأني ، والقراءة الواعية حول ما سبق كانت فكرة البحث وهي أثر التشدد المذهب في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين (٤٨٤ ، ٥٤١هـ) .

وقد قصد البحث التأكيد بالأدلة العلمية من خلال كتابات العرب والمستشرقين ، أن التشدد والانغلاق الفكري من قِبل فقهاء المالكية ، قد ظهر بوضوح وأثر على الشعر والشعراء زمن حكم المرابطين للأندلس ، مما أدى إلى ضعف الشعر وانحطاطه وانحساره .

وقد عالج البحث هذه الفكرة ، وهو يتشح بوشاح النقد الموضوعي والمنطلق من نقد الفكر ، وليس نقد الأشخاص ، فالفكر ملك للجميع ، وكلٌّ يؤخذ منه ويُرد عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم .

الكلمات المفتاحية :

التشدد المذهبي – الشعر الأندلسي – عهد المرابطين .

الباحث/ محمد طه صالح خضر

***

Research Summary

In the country of Andalusia, specifically during the Almoravid state and for half a century from (٤٨٤ to ٥٤١ AH), which is the time period for the rule of the Almoravids, the Berbers who came to Andalusia. The self incapable of continuing creativity - especially after the era of cults with its artistic brilliance and poetic glow in the courts of princes, especially al-Mu'tamid ibn Abbad.

All this is due to religious strictness and intellectual isolation towards poetic creativity on the part of the Maliki jurists at the time of the Almoravids, who were known for their intransigence and cruelty, and aversion to everything new in religion and morals, in addition to the harshness of nature and the arrogance of the new rulers who came to Andalusia from the Moroccan Berbers, who had no passion for a taste of creativity. Al-Sha'ari, or even understood its meanings, starting with the head of the Almoravid state, Yusuf bin Tashfin, and all the men of his state who appointed the principalities of Andalusia to them.

This closed thinking about poetic creativity was clearly shown in a book such as the summary of closing and doctrinal extremism, which is (Ikmaan craftsmanship of speech) by Abd al-Ghafoor al-Kala'i, the hard-line Maliki jurist, al-Murabit. And in the face of this strict thought towards poetic creativity in particular, and intellectual movement in general in this era - Dr. / Muhammad Abdullah Annan is right when he called it (the era of religious dictatorship).

In the shadows of careful diving, and conscious reading about the foregoing, the idea of the research was the effect of doctrinal strictness in Andalusian poetry in the era of the Almoravids (٤٨٤, ٥٤١ AH).

The research aimed to confirm with scientific evidence through the writings of Arabs and orientalists, that strictness and intellectual isolation by the Maliki jurists, has clearly appeared and affected poetry and poets at the time of the rule of the Almoravids of Andalusia, which led to the weakness of poetry and its decline and decline.

The research has dealt with this idea, and it is covered with the veil of objective criticism and stemming from criticism of thought, not criticism of individuals, for thought belongs to everyone, and everyone is taken from it and replied to it except for the infallible, peace and blessings of God be upon him.

Keywords:

Doctrinal extremism - Andalusian poetry - Almoravid era.

researcher

* * *

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ، ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين ... وبعد ،

فإذا كان تغيير القناعات ، وتحويل الفكر من أصعب ما يكون ، فإن هذا البحث وليد تغيير قناعة كانت استقرت في ذهن الباحث ، ألا وهي : التوجس من كتابات المستشرقين وأفكارهم ؛ لأنها لا تحمل للعروبة والإسلام إلا البغض والحقد والكراهية والعنصرية ... ولكن في مؤتمر (أعلام العربية في مرايا المستشرقين) [١] ومن خلال بحوث المشاركين في المؤتمر ، لاحظتُ إجماعًا على قيمة الفكر الاستشراقي ، وأنه ضم بين جنباته خيرًا كثيرًا في كافة مجالات اللغة والأدب والإسلاميات .

وقد شُغلْتُ منذ زمن بالقراءة في الشعر الأندلسي في مرآة الاستشراق الإسباني ، فلفت نظري ما كتبه غرسيه غومس[٢] عن التشدد المذهبي والفكري لفقهاء المالكية، وأثره السلبي في ضعف وانحطاط الشعر في دولة المرابطين بالأندلس ، فسعيت إلى التثبّت من صحة مقولة غومس بالرجوع إلى تراث الأندلسيين والمشارقة في هذه الفترة ، ودراسات الباحثين حول دولة المرابطين في الأندلس ، والموحدين ؛ فوجدت ما يشبه الاتفاق بين أهل العلم والفكر على صحة ما ذهب إليه غرسيه غومس ، وقد ثبت بالفعل أن انحطاط الشعر في دولة المرابطين كان يقف وراءه التشدد المذهبي ، والجمود الفكري من قِبل فقهاء المالكية ، إضافة إلى عجمة الحكام الجدد الوافدين على البلاد بقيادة يوسف بن تاشفين ... الذي أسر المعتمد بن عباد وسجنه بفتوى من فقهاء المالكية .. فكان هذا البحث : أثر التشدد المذهبي في الشعر الأندلسي في عهد المرابطين .

وقد حاولت الدراسة أن تجمع بين التنظير والتطبيق قدر المستطاع إثباتًا للفكرة ودورانًا حول صحتها .

كما وجدت أن أشد الكتب التي تتضح فيها ظاهرة التشدد المذهبي هو كتاب " إحكام صنعة الكلام للكلاعي " ، فعرضت له وحاورته بالنقد العلمي للرد على ما ادعاه وتجنى به على الشعر كما سيتضح إن شاء الله .

ثم تعرضت لتداعيات هذا التشدد وأثره في الشعر والشعراء ، كما بينت على أثر هذا التشدد والجمود الفكري وأثره في الأغراض الشعرية ، وعاطفة الشاعر .. إلخ .

ولقد كان منهجي الذي يتفق وطبيعة الدراسة هو المنهج الاستقرائي ، إضافة إلى المنهج التحليلي الوصفي بما يثبت فِكْرَة البحث ويثبت أقدامها .

وعليه فقد جاء البحث في مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثة مباحث ، وخاتمة ، ثم فهرسين أحدهما للمراجع

---

(١) عقد المؤتمر بكلية اللغة العربية بالمنصورة جامعة الأزهر يومي ٢٤ ، ٢٥ – مارس ٢٠١٩م .

(٢) الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه ، غرسيه غومس . ترجمة الدكتور / حسين مؤنس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٢م ، صـ ١٨ وما بعدها .

والآخر للموضوعات .

– ففي المقدمة أشرت إلى منبع الفكرة وانطلاق شرارتها في نفس الباحث ، ومنهج البحث .

– وجاء التمهيد – ليؤصل نظريًا لفكرة التشدد والجمود في ظل سيطرة فقهاء المالكية على مقاليد الأمور زمن المرابطين بالأندلس .

– ثم جاء المبحث الأول بعنوان / الكلاعي (وكتابه إحكام صنعة الكلام) نموذجًا تطبيقيًا :

وتحته ستة مطالب :

المطلب الأول : حول الكتاب .

المطلب الثاني : الدين ضد الشعر .

المطلب الثالث : التكسب بالمديح عيب يفسد الشعر .

المطلب الرابع : تعدي الضرر الأدبي من الشعر للنقد .

المطلب الخامس : الادعاء بتنافر الشعر والكتابة .

المطلب السادس : السجع عيب من عيوب الشعر .

– وأما المبحث الثاني : فيحمل عنوان : تداعيات التشدد المذهبي على حركية الشعر .

وتحته أربعة مطالب :

المطلب الأول : الشعراء وحس الاغتراب .

المطلب الثاني : الهجرة المكانية .

المطلب الثالث : الهروب للشعر الشعبي بديلاً عن الرسمي .

المطلب الرابع : التأليف في تاريخ الأدب بدافع الخوف من ضياع الشعر .

– ثم كان لمبحث الثالث : بعنوان : أثر التشدد المذهبي في الأغراض الشعرية . **وفيه :**

مدخل :

المطلب الأول : شعر المديح وأغراض أخرى .

المطلب الثاني : كثرة هجاء الحكام ورجال الدين .

المطلب الثالث : فن الرثاء .

المطلب الرابع : وصف الطبيعة .

المطلب الخامس : الشعر الديني .

ثم أعقبت ذلك بخاتمة متضمنة أهم نتائج البحث ، ثم فهرس المصادر والمراجع ، وآخر للموضوعات.

تمهيـــد

التنظير النقدي للفكر المتشدد في دولة المرابطيـن

- **مدخل :**

في بلاد الأندلس وتحديدًا خلال دولة المرابطين ولمدة نصف قرن من (٤٨٤هـ إلى ٥٤١هـ) وهي المرحلة الزمنية لحكم دولة المرابطين في الأندلس ، يمكن القول إنه في هذه الفترة انحسرت حركة الشعر، وتحددت مساراته الإبداعية في آفاق محدودة وضيقة ، وأحس الشعراء حينها بالاغتراب وضياع دولتهم ، ومكانتهم ، خاصة بعد عصر الطوائف والذي يُعد أزهى العصور الأدبية ؛ إذ ظهر فيه كبار شعراء الأندلس ؛ وأصبحت شخصية الشعراء وشعرهم بارزة قائمة بذاتها .

ومرد الحكم السابق يرجع إلى أمرين :

أولهما :- التشدد الديني من فقهاء المالكية في دولة المرابطين، إذ اتسموا بالتعنت والقسوة والنفور من كل جديد ... مما سبب تحديدًا للحرية الفكرية [١] وقمعًا للإبداع الشعري .

والآخر : - انعدام الإحساس بجماليات الفن الشعري وتذوقه لدى رجال الدولة المحتلين للأندلس ، إذ دخلتْ الأندلس منذ الفتح المرابطي لها مرحلة جديدة ... فقد تحولت إلى ولاية ضمن دولة عريضة واسعة يحكمها قوم من شمال أفريقيا ، فيهم عنف الصحراء وخشونة مناخها ويُبوسة رملها ... وقد امتازوا بالخشونة والقوة في سلوكهم وتصرفاتهم ، واعتّدوا البداوة والتعصب في معتقداتهم ... [٢].

ولعل القراءة الواعية للتاريخ الأدبي ، والنقدي ، ولسيَر الشعراء في عصر المرابطين ، والذي سيْطر عليه فقهاء المالكية لتؤكد أن هذه الدولة كانت :

- دولة دينية متشددة بسبب فقهاء المالكية وتسلطهم على مقاليد الأمور .
- دولة حربية عسكرية ظلت في جهاد مستمر وحروب دائمة وهو ما ينسجم مع طبيعة الفاتحين الجدد (المغاربة) البربر وهم حكام البلاد وأهل الحل والعقد فيها .

نعم يمكن القول بأنه في هذا العصر وجد الشاعر المبدع ، ولكنه لم يتوفر له المناخ الاجتماعي للإبداع،

---

(١) الشعر في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس، د/محمد مجيد السعيد، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط٢ ، سنة ١٩٨٥م ، ص / ٧٢ .

(٢) السابق نفسه ، ص/٤٣ – ٦٠ بتصرف .

وهنا نتفق مع الناقد الإنجليزي أرنولد[١] في قوله : (إن الرجل المبدع لا يكفي بدون العصر) [٢] فإذا كان النقد السياقي في قراءة النص الشعري يؤكد أنه (لا يمكن أن يتم خلق العمل الفني العظيم إلا بتوفر عاملين : الطاقة الإبداعية الكامنة في الفنان ، والطاقة الثقافية الكامنة في العصر ، وأنه لابد للطاقتين أن يلتقيا لينتج عن التقائهما الأدب العظيم) [٣] ، فإن البحث ليؤكد أنه بقدوم المرابطين الأندلس هبطت راية الشعر ، وانحسرت أوديته وثُلَّتْ عروش الشعراء ، وتأخرت طبقتهم بسبب :

- تسلط الفقهاء وتشددهم المنغلق ، وسيطرتهم على مقاليد الدولة ورجال السياسة .
- خشونة الطبع وانعدام الذوق الإبداعي للشعر عند المرابطين المحتلين للأندلس .
- فقد قامت دولة المرابطين منذ بدايتها الأولى على أساس جهود ثلة من فقهاء المالكية بالمغرب الإسلامي، فهم الذين نظروا للمشروع الإصلاحي ، ومهدوا السُبل لتحقيقه على مسرح التاريخ داخل الأندلس... ولذا استمرت دولة الأندلس قائمة على أساس فقهي وخاصة في دولة المرابطين.

وعلى طول العصر ، ازداد منهج الفقهاء تشددًا بقوة مكانتهم السياسية ، فقد ثبتت هذه الطبقة أقدامها ووقفت شامخة تأمر وتنهى ، وتسيطر وتوجه ، وبالجملة فالفقهاء هم الذين حكموا الأندلس زمن المرابطين مختفين وراء لثامهم وتزمتهم الديني[٤].

- **بواكير الظاهرة :**

– وقد ظهرت بواكير هذه النظرة النقدية المتشددة قبيل زمن المرابطين عند ابن حزم الفقيه الناقد (ت٤٥٦هـ). والذي أعتقدها الشرارة الأولى لتأسيس هذه الفكرة .

فقد نظر للنص الشعري من منظور ديني فقهي متشدد ، ويكأني به أمام مسائل فقهية قام بتطبيق أحكام أصول الفقه عليها ، وليس إبداعًا شعريًا نابعًا من إلهام وعاطفة ...

---

(١) هو ماثيو أرنولد ، ناقد ، وشاعر ، وكاتب ، مصلح تربوي ، من رواد الإنجليز في النقد الحديث ، تنوعت كتاباته في الأدب واللاهوت ، كان أستاذًا للشعر في جامعة أكسفورد ، مؤسس مدرسة النقد الموضوعي ، من أهم مؤلفاته الثقافة والفوضى ، مقالات في النقد ، الأدب والقصيدة ، الله والإنجيل ؛ للتفصيل مجلة الرسالة العدد (٦٥٦) ، مقال للأستاذ خيري حماد ، والنقد الموضوعي د/ سمير سرحان ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٠م ، المقدمة ص ١١ وما بعدها .
وكذا الموقع الالكتروني . wikllar. M.wlkpoor .

(٢) النقد الموضوعي ، د/ سمير سرحان ، ص٣٩ .

(٣) السابق نفسه ، ص/ ٤١ .

(٤) دراسات أدبية في الشعر الأندلس ، د/ سعد شلبي ، دار نهضة مصر – الفجالة – ص/١٥٣ بتصرف .

(أ) فمنه المحرم [١] وهي :

(١) أشعار الأغزال . لأنها تؤدي إلى الفسق وتهون المعاصي وتدعو للفتنة...

(٢) أشعار التصعلك وذكر الحروب كشعر عنترة – لأنها تثير النفوس وتهيج الطبيعة وتدعو للظلم والشره ، وسفك الدماء .

(٣) أشعار التغرب وصفات المفاوز والبيد والمهامه لأنها تسهل على الناس التحول والتغرب ، وتنشب المرء فيما ربما صعب عليه التخلص منه بلا معنى .

(٤) الهجـاء . وهو أفسد الضروب السابقة لأنه يمزق الأعراض ويذكر العورات وينتهك حرمات الآباء والأمهات ، وفي هذا حلول الدمار في الدنيا والآخرة .

(ب) ومنه المباح والمكروه .

وهما المدح والرثاء لأن فيهما ذكر فضائل الميت والممدوح ، ولأن أكثر ما فيه كذب ولا خير في الكذب.

وأخيرًا فإن رواية الشعر والإكثار منه كسب غير محمود لكونه طريقًا للباطل والفضول لا طريقًا للحق والفضائل [٢].

هذا – ولا شك – تأسيس مبكر لنظرة فقهية منغلقة ، لا تتماشى وطبيعة الإبداع الشعري، والذي هو في الأساس إلهام ، وفيض وجدان فالرجل بذلك يضع الشاعر في قوالب محدودة وضيقة فكل الشعر حرام، (الغزل ، والمدح ، والهجاء) وشعر الغربة وإن كان يُسمح فيه للشاعر بشيء فهو مباح مع الكراهة.

أي يأخذ حكم (كراهية التنزيه) فيجب على الشاعر أن ينزه نفسه عنه ، لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما تقول القاعدة الأصولية عند الفقهاء.

وأعتقد بعد مراجعة كتاب طوق الحمامة ، وديوان صاحبه الشعري ؛ أن الرجل كان يناقض نفسه ، ويسبح ضد هواها ، فهو في داخله شاعر وأديب ، وفي الظاهر فقيه متشدد متزمت ؛ فآثر الظاهر وأخفى الباطن ، فعاش بينه وبين نفسه في صراع (الطبع والدور) [٣] أو ثنائية العقل والعاطفة

---

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق : د/ إحسان عباس ، المؤسسة العربية ط الأولى سنة ١٩٨٠م ، ج/١ ، ص/٦٥ وما بعدها .

(٢) السابق نفسه ، ص/ ٦٥– ٦٧ .

(٣) الطبع ما يحبه المبدع وينسجم مع نفسيته ، وطبيعته الشخصية ، والدور – ما يُفرض عليه من الأدوار فيتقمصها لدواع سياسية ، دينية ، اجتماعية ؛ وهنا يعيش المبدع أو المفكر حالة اغتراب لتلبُّسه بذات غير ذاته ، وإنما هو التقمص والاستدعاء المتكلف والتشيؤ . للتفصيل ، المعتمد بن عباد دراسة نفسية – ماجستير – الجزائر ، جامعة الإخوة منشوري قسطنطين ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، د/ محمد خيط سنة ٢٠٠٥م ، ص/١٢١ ، وما بعدها ، الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري دراسة اجتماعية نفسية د/ أحمد علي إبراهيم الفلاحي ، الأردن ، ص٥١ وما بعدها .

المتضادة التي أحيانًا ما تسيطر على أهل الإبداع والفكر بسبب الغربة النفسية والاجتماعية ؛ كما وجدناها عند الشريف الرضي ، وأسامة بن منقذ ، وأبي فراس الحمداني، فالظاهر الطموح والشجاعة والباطن الانكسار والقلق النفسي .

– وهنا تتأتى عملية القمع الفكري ، والقهر السلطوي للإبداع الشعري " من أصحاب الموقف الأخلاقي من المفكرين والنقاد – إزاء الفن – الذين يوجهون إلى الفن عامة وإلى الأدب خاصة تهمة خطيرة ، مفادها أنه من خلال تأثيره في النفس الإنسانية قادر ، إذا هو خرج عن محوره الطبيعي ، أن يفسد الأذواق ، ويحطم القيم، ويكون أداة تخريب في بنية المجتمع الصالح ، ومن ثم يكون مسئولًا – ضمنيّاً – عن انحطاط الحضارة وانهيارها " [١].

الأمر الذي يؤكد على ضعف الشعر وانحساره لخضوعه للرقابة الأخلاقية والفقهية على امتداد العصر الأندلسي ، وقد لاحظ د/ إحسان عباس ذلك إذ يقول: " إنني أقرر منذ البدء أن الشعر الأندلسي لم يفقد صلته بالتوجه الأخلاقي في أية خطوة أو مرحلة .. وقد كان لهذا التيار النقدي الأخلاقي آثار يجب ألا نغفلها..[٢].

وقد ظهرت هذه الآثار فيما بعد بالسلب وآتت أُكلها ؛ إذ ساد هذا الفكر النقدي المتعسف بعد ابن حزم وسرى سريان النار في الهشيم في دولة المرابطين وعشش وفرّخ الأمر الذي أضر بالشعر والشعراء ، وقد ظهر ذلك عند أدباء هذا العصر من أمثال:

– **ابن بسّام (ت ٥٤٢هـ)** صاحب كتاب الذخيرة والذي ما ألّفَهُ إلا عصبية وإثباتًا لمقدرة الشخصية الأندلسية في الإبداع الأدبي .

إذ غاظه ما يصنع الأندلسيون من تقديس لأدب أهل المشرق العربي ، ولذا وجدناه يُعرِّض بالأدب المشرقي " إذ كل مردٍ ثقيل ، وكل متكررٍ مملول ، وقدْ مجتْ الأسماع يا دارميةْ ، ... ولخولة أطلال، ومجت قفانبك [٣].

وعلى منهج النقد الفقهي الديني المتشدد نراه يتابع ابن حزم إذ يستنكر شعر المديح قائلاً عنه : " لم أرضه مركبًا ، ولا اتخذته مكسبًا ، ولا ألفته مثوى ولا منقلبا"[٤].

---

(١) دراسات في الأدب الأندلسي ، د/ إحسان عباس ، د/ وداد القاضي ، د/ ألبير مطلق ، طبع الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس . ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م . ص٧ وما بعدها – مقال بعنوان " الشعر الأندلسي والأخلاق " ، د / إحسان عباس .

(٢) السابق ص٧ إلى ص ١٣ بتصرف .

(٣) الذخيرة في مجالس أهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني ، تح: د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٩٧م . القسم الأول – المجلد الأول ، صـ ١٣ .

(٤) الذخيرة في مجالس أهل الجزيرة ، لابن بسام الشنتريني ، تح: د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٩٧م . القسم الأول – المجلد الأول ، صـ ١٣ .

وكذا رفض شعر الهجاء إذ يقول (وقد صُنتُ كتابي هذا عن شين الهجاء ، وأكبرته أن يكون ميدانًا للسفهاء ..) [١]. وتمنع عن ذكر نماذج للهجاء – إلا في النادر إذ يقول في موضع آخر : (وكنيتُ عن أكثر من به صرَّح ، وأعجمتْ باسم من به أعرب وأفصح ، رغبة بكتابي عن الشين ، وبنفسي أن أكون أحد الهاجيين..)[٢].

وإنا لنعجب له .. فقد نقل النص القرآني كلام الكفار من منطلق أن نقل الكفر ليس بكفر ؟! وفي ظني أن الرجل تجنى على الشعر الأندلسي خاصة الهجاء ، وحرمنا من هذا الفن بسبب فكره وتدينه المنطلق من عقيدة الفقهاء الكارهة للشعر والشعراء في العصر الأندلسي لاسيما في عصر المرابطين ، مما قيد الشعر ، وأحبط الشعراء ، وتستمر هذه النظرة الضيقة عند ابن بسام إذ استهجن وتأفف كذلك من شعر المجون[٣] والشعر الفلسفي[٤] .

– **ابن السيد البطليوسي** : والعجب كل العجب أن نجد هذا النهج النقدي الماضي على منهج الفقهاء من ابن السيد البطليوسي (ت سنة ٥٢١هـ) ، وهو فقيه من أئمة أعلام اللغة والأدب والمفكرين النابهين في الحياة العلمية بالأندلس ، ومن العقول التي تمثل الثقافة العربية في صورتها الراقية ، وتصور العقلية الأندلسية في تمام نضجها واكتمالها – ومن هنا يأتي العجب وتتأتى المفارقة إذ يقول البطليوسي شارح سقط الزند " لأبي العلاء المعري " ما نصه : (والشعر عند العلماء أدنى مراتب الأدب، لأنه باطل يُجلى في معرض حق ، وكذب يصور بصورة صدق ، وهذا الذم إنما يتعلق بمن ظن صناعة الشعر غاية الفضل ، وأفضل حُلى أهل النبل...) [٥].

وما أظنه يقصد بالعلماء هنا إلا الفقهاء لأن طبيعة العصر وملابساته الثقافية تؤكد ذلك ؛ حيث استحوذ فقهاءُ المالكية على مقاليد الدولة بالكامل ، وكانت ثقافتهم هي المسيطرة على الاتجاه الفكري في عهد المرابطين سواء في أمور الدنيا ، أو الجانب الروحي من إصدار الفتاوى في القضايا القانونية والخلافات التجارية والمدنية ، والإشراف على الأعمال الخيرية والإرث والأيتام والمناصب العمومية ومصالح الأمير الحاكم ... " ولم يمل هؤلاء الفقهاء – الذين ضيقوا حلقة الشعر وحددوا مساراته – من تكرار أن عِلمهم مما يُقرب إلى الله ، لكنهم وبكل بساطة كانوا يُسخِّرون هذا العلم لخدمة مصالح الأمير

---

(١) الذخيرة لابن بسام ج/١، ص/٥٤٤ .

(٢) السابق نفسه ، ج/١ ، ص/ ٥٨٦ .

(٣) السابق نفسه ، ج/٤ – ص/٢٢١ ، ج/٢ – ص/٥٥٦ ، ٢/ ١٤٤ .

(٤) السابق نفسه ، ج/١ – ص/٨٩٠ ، ج/٢– ص/ ٤٨٢ .

(٥) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ، لابن السيد البطليوسي ، تح أ/ مصطفى السقا ، ود/ حامد عبد المجيد ، القسم الأول ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، سنة ١٩٩٦م ، ص/ ٥٠ .

الذي يعملون تحت سلطته ، والذي لم يبخل عليهم في المقابل بتعيينهم في المناصب الرفيعة ، وهكذا تحول الفقه معهم إلى وسيلة يكرسون بها الوضع القائم ، ... " [١] .

وقد طال هذا التعصب والفكر المنغلق من فقهاء المالكية كل ما في الحياة بما في ذلك الإبداع الشعري ، فضعف الشعر وضاعت دولة الشعراء لتسلط الثقافة الفقهية على عهد المرابطين على الشعر تسلطًا جعل الشعراء في حالة من الذهول والحيرة ... [٢].

- نقد فكر وليس نقد أشخاص .

هذا – وإذا كانت الفكرة المطروحة هنا تقصد التأكيد على انحسار وضعف الشعر أيام المرابطين بسبب تشدد فقهاء المالكية وموقفهم من الشعر والشعراء ، وبسبب بداوة وخشونة طباع رجال الدولة وهم من البربر المغاربة المحتلين لبلاد الأندلس في عهد المرابطين ؛ فإن الباحث ليؤكد أنه ينقد فكرًا ، ولا ينقد أشخاصًا .

لأن الفكر ملكية عامة ، خاضع للقبول أو الرفض .

وإذا كان العلم ميراث العلماء ، وهو رحم بين أهله ولنا في السابقين قدوة ، فإن الباحث ليقتفي أثر عالمين كبيرين نقدوا الفكر ، وأثبتوا أن ذلك لا يقدح في أحد، ولا ينقص من قدر من نقدوهم ، وأما أولهما فهو ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) في التنبيه على مآخذه على أبي عُبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة ٢٢٤هـ ، من خلال كتابه (غريب الحديث) ، وما استدركه عليه قَدَّمَ له بقوله مُتَحَليًا بأدب العلماء: (... قد يظن من لا يعلم من الناس ولا يضع الأمور في مواضعها أن هذا اغتياب للعلماء ، وطعن على السلف ، وذكر للموتى ، وليس ذلك كما ظنوا ... وأما قولهم "اتقوا زلة الصالح " فزلة العالم لا تعرف حتى تُكشف ، وإن لم تعرف هلك بها المقلدون ولا نعلم أن الله عز وجل أعطى أحدًا من البشر موثقًا من الغلط وأمانًا من الخطأ ، بل وصل عباده بالعجز وقرنهم بالحاجة ... ، وقد يتعثر في الرأي جلة أهل النظر والعلماء المبرزون ... [٣].

وما أظن ذلك من ابن قتيبة إلا ليدفع عن نفسه مظنة الطعن في العلماء – وأن ما اجتهد فيه واستدركه على أبي عبيد القاسم ابن سلام هو نقد للعلم والفكر – وليس للأشخاص ، وهذا هو ما قصد البحث إثباته هنا .

---

(١) التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية ، للمستشرق الأسباني أمبر وسيو هويثي ميراندا ، ترجمة : عبد الواحد أكمير ، منشورات دار الزمن ، الرباط ، ط الأولى سنة ٢٠٠٤م ، ص/٢٦ ، ٢٧ ، وما بعدها .

(٢) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، مرجع سابق ، ص/٥٦ .

(٣) إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث ، ابن قتيبة الدينوري ، تح : عبد الله الجبوري ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط الأولى سنة ١٩٨٣م ، ص/ ٤٢ بتصرف .

وأما ثانيهما فهو ابن السيد البطليوسي الأندلسي (ت٥٢١هـ) والذي يؤلف كتابًا باسم: (الحلل في إصلاح الخلل في كتاب الجمل) [١] ، يستدرك فيه ما فات أبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت سنة (٣٣٧هـ) من خلال كتابه (الجُمل) ، والذي كثرت شروحه من قِبل علماء اللغة .

يقول البطليوسي في صدر كتابه : (وليس اختلال بعض عباراته – يعني كتاب الجمل للزجاجي – مما يخل بمحله في العلم ، ومكانته في الفهم ، فقد قال الحكماء : من ألف فقد استُهدف فإن أحسن فقد استعطف ، وإن أساء فقد استقذف وباختلاف المختلفين ظهرت المعاني للناظرين ، وفطرة الإنسان مبنية على النقصان إن أصاب في معنى فقد أخطأ في معنى ، وإن كَمُل في جهة نقص من أخرى ، وإنما الكمال الذي لا نقص فيه لخالق الأشياء الذي لا تغيب عنه غائبة في الأرض ولا في السماء ...) وغرضي أن أنبه على أغلاطه ، والمختل من كلامه ، فإنه أصَّل أصولاً لا تصح في الاعتبار ... "[٢] ، وعلى هذا النهج يحاول الباحث أن يقلد ويقتفي الأثر، فالنقد هنا نقد فكر وليس نقد أشخاص .

---

(١) كتاب الحلل في إصلاح الخلل في كتاب الجُمل ، لابن السيد البطليوسي ، تح د/ سعيد عبد الكريم سعودي ، بدون .

(٢) السابق نفسه ص ٣٧ ، ٣٨ .

النقد الفقهي للتشدد المذهبي
عند فقهاء المرابطين

إذا كان البحث يُعنى بناحية النقد الأدبي من خلال الإشارة لضعف الشعر زمن المرابطين ، بسبب التشدد والتحجر الفكري من قِبَل فقهاء المالكية .

فإن النقد الفقهي قد وقف الموقف نفسه من فقهاء المالكية زمن المرابطين ، وبذا يجتمع الأشباه والنظائر ، ويلتقي النقد الفقهي ليؤكد على فكرة النقد الأدبي فتتلاحم الأفكار ، ويكمل العلم بعضه بعضًا ؛ حيث نجد أن الكثير من أهل الفقه الأندلسيين ممَّن عرفوا بالوسطية والفكر المعتدل قد نقدوا تشدد فقهاء المالكية آنئذٍ وعقليتهم المتحجرة ومن هؤلاء النقاد لفكر المالكية المرابطين :

(١) القاضي عياض (٢) أبو بكر بن العربي .

(٣) القاضي أبو الوليد الباجي . (٤) الحافظ ابن عبد البر الفقيه المحدث.

(٥) ابن حيان المالكي وغيرهم .

وبعيدًا عن الإطالة في سرد الحوار الجدلي بين الرافضين لمنهج التشدد والتحجر عند المالكية ، وبين من رد عليهم .

يمكن إيجاز المقصود في الآتي :

١- ثبت للبحث أن ظهور المذهب المالكي في دولة المرابطين بتحجره وتشدده هذا إنما يرجع إلى فرضه بقوة السلطان والسيف [١].

(٢) يسيطر على هذا المذهب غالبًا التقليد الأعمى من خلال إعمال الاتجاه الفروعي المقلد ، والبُعد عن الاتجاه التأصيلي المتبع وإعمال الرأي ، والمسائل ، والمصالح المرسلة [٢].

(٣) هذا المنهج المتشدد من فقهاء المالكية ، خالف في الواقع فكر الإمام مالك... ، ففقهاء المالكية في الأندلس لم يلتزموا منهج إمامهم ، بل فعلوا ضده فانصرفوا منذ وقت مبكر عن دراسة الحديث ، واقتصروا على الرجوع إلى كُتب الفروع التي أقرها شيوخ المذهب في الأندلس .

- وهكذا – وللأسف الشديد- كان هذا هو الاتجاه الغالب على المدرسة المالكية بالأندلس ، فحجروا على من سواهم [٣] ، بسبب تقليدهم المتزمت وتشددهم الفكري .. ممَّا أثَّر على الحياة الفكرية عامة ، وعلى الإبداع الشعري خاصة فضعف وانحسر ، وأحس الشعراء بالقيد والعجز عن الإبداع .

---

(١) للتفصيل والتوسع ، المدرسة المالكية بالأندلس بين التقليد والاتباع ، جامعة الكويت ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، د/ توفيق بن أحمد الغليزوري مجلد (٢٠) عدد (٦٣) سنة ٢٠٠٥م ، من ص/ ١٧- ١٢٥ .

(٢) السابق ، ص/ ٩٦ .

(٣) السابق ، ص/ ١٠٤ .

وقد صدق الأستاذ / أحمد أمين في قولهِ عن فقهاء المرابطين بالأندلس : "وقد كان الأندلسيون مقلدين مذهب مالك من غير بحث " [١].

وصدق المقدسي العالم بطبائع الناس حيث يقول : " أما في الأندلس فمذهب مالك ، وهم يقولون لا نعرف إلا كتاب الله والموطأ لمالك ، فإن ظهروا على حنفي أو شافعي نفوه ، وإن عثروا على معتزلي أو شيعي قتلوه) [٢].

وقد انعكس ذلك على الشعر والشعراء .

يقول غرسيه غومس : " بدا وكأن الشعر الأندلسي – عهد المرابطين – يلفظ أنفاسه ، كأن كيانه ناء بثقل النازلة ، وانطوى على نفسه إلى حين " [٣].

ويقول انخل جنثالث بالنثيا : " يعتبر عصر سيادة المرابطين على الأندلس عصر تأخر وانكماش للثقافة الأندلسية " [٤].

ويقول رينهارت دوزي المستشرق الهولندي ت سنة ١٨٨٣م : " وأما الشعراء فلم يعودوا يجدون من يدني مكانتهم إلى السلطان المرابط ، فأخذوا يندبون ضياع الذوق، ويندون بالهمجية التي اكتسحت بلادهم " [٥].

ويقول يوسف أشبا خ المستشرق الألماني ت سنة ١٨٨٢م : " ولم يبد سلاطين المرابطين كبير عناية بأمر العلوم والفنون والشعر ، وتقدم المعارف ، وقد اضطهدوا كل ما عُنيت الدولة العربية بتشجيعه من قبل " [٦].

---

(١) ظُهر الإسلام ، شركة نوابغ الفكر ، القاهرة سنة ٢٠٠٩م ، ج/٣ ، ص/٦٣ .

(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مكتبة مدبولي ، ط٣ ، ١٩٩١م ، ص٣٣٦ .

(٣) الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه ، غرسه غومس ، ترجمة : د/ حسين مؤنس ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة سنة ١٩٥٢م .

(٤) تاريخ الفكر الأندلسي . انخل جنثالث بالنثيا ، ترجمة : د/ حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، بدون ، ص/ ١٧ ، وما بعدها ، وقد أكد الفكرة أيضًا في صـ ١٨ ، ١٩ ، ٢٣ ، ١٠٠ .

(٥) المسلمون في الأندلس ، رينهارت دوزي ، ترجمة : د/ حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٥م ، ج/٣ – ص/١٦٠ وما بعدها بتصرف ، وانظر لمحاته الموجزة عن تأكيد الفكرة نفسها في كتابه ملوك الطوائف ، ونظرات في تاريخ الإسلام ، رينهارت دوزي ، ترجمة كامل كيلاني ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، ط الأولى سنة ٢٠١٢م .

(٦) تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة وتعليق : د/ محمد عبد الله عنان ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ج/٢ ، ص/ ٢٣٩ .

شعراء دولة المرابطين هم بالأصل شعراء دولة الطوائف

وربما يطرح المتلقي سؤالاً وأظنه سائله لا محالة . هو : أن ثمة تعارضًا بين فكرة البحث ، وبين هذا الزخم من الشعراء الأعلام والمشهورين في دولة المرابطين؟! مما يمثل خللاً وتناقضًا مع ما يذهب إليه البحث هنا !

وللإجابة يمكن القول بأن شعراء عصر المرابطين هم بالأصل شعراء عصر الطوائف ممن كوَّنوا شاعريتهم وإبداعهم الثقافي الواسع والمتعدد من خلال عصر الطوائف ، والذي شغل ما يقرب من ثمانين عامًا من عمر دولة الإسلام بالأندلس ، حيث تعددت فيها بلاطات الأمراء من بني عباد في إشبيلية ، وبني جهور في قرطبة، وبني ذي النون في طليطلة ، وبني الأفطس في بطليوس ، وبني زيري في غرناطة ، وبني هود في سرقسطة ، وبني عامر في بلنسية .

وقد كان رجال الأدب – والشعراء خاصة – إبان فترة ملوك الطوائف يشعرون بالرضى والسرور ، وكانت هذه البلاطات تشبه " الأكاديميات " ، أو المجامع الأوروبية وكان الأدباء يلقون كل رعاية واهتمام ويتلقون من الأمراء مرتبات شهرية [١].

وكان من ثمار ذلك ارتفاع لواء الشعراء وكثرتهم في هذا العصر – أعني عصر الطوائف– من أمثال : ابن الحداد الأندلسي ت/٤٨٠هـ ، وابن وهبون ت/٤٨٤هـ ، والسُّمَيْسِر ٤٨٤هـ ، وابن اللبانة ت/٥٠٧هـ ، وابن عبدون ت /٥٢٠هـ ، وابن حمديس ت٤٤٧هـ ، وابن الزقاق البلنسي ت/٥٣٠هـ ، وابن خفاجة الأندلسي٥٣٣هـ ، والأعمى التطيلي ٥٤٢هـ ، والرصافي البلنسي ت ٥٧٢هـ ، وغيرهم ، بل عُرفت أُسر في عصر الطوائف واشتهرت بالإبداع الشعري واستمر عطاؤهم في عصر المرابطين من أمثال : أُسرَة بني عباد ، وبني حيان ، وبني حزم ، وأسرة الوقشي البلنسي ، والخفاجي ، وابن أخته الزقاق ، وبني شهيد ، ناهيك عن المجالس الأدبية والتي هي سمة عصر الطوائف ، وكذا شعر المرأة التي ذاع وانتشر ، لما نالته المرأة[٢] من الحرية الاجتماعية في هذا العصر الذي أرخى للإبداع سدوله وأناخ فيه الشعراء ركابهم مطمئنين ومبدعين . وقد أدت كثرة الشعراء في عصر الطوائف في بلاطات الحكام ، بغرسيه غومس إلى توزيعهم توزيعًا إقليميًا [٣] فمنهم شعراء غرب الأندلس ، ومنهم شعراء شرق

---

(١) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، د/ حكمة الأوسي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة بدون ، ص/١١٧ .

(٢) للتفصيل والتوسعة صورة المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف ، اتجاهاته وخصائصه الفنية دكتوراه – د/ نميري تاج لقمان ، السودان ، جامعة أم درمان ، كلية اللغة العربية سنة ٢٠٠٥م ، ص٩ ، وما بعدها ؛ والاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهد ملوك الطوائف والمرابطين (مرجع سابق) . ص/٤٠ وما بعدها .

(٣) اعتمد غرسيه غومس في هذا التقسيم على كتاب (رايات المبرزين وغايات المتميزين لابن سعيد الأندلسي ، ت٦٨٥هـ تح د/ محمد رضوان الداية ، طبع دار دمشق ، ط الأولى ١٩٨٧م .

الأندلس، ومنهم شعراء وسط الأندلس[١].

يقول غومس في حديثه المنصف عن عصر الطوائف :

وكان هذا الزمان عصرًا عظيمًا للشعر والشعراء ، إذ تنافس ملوك الطوائف في اجتذاب الشعراء إلى نواصيهم ... بل كان لكل أمير من أمراء الطوائف ميزة اختص بها دون جيرانه ... وقد أصبح أهل الأندلس كلهم شعراء ... ومضى الشعراء يقطعون الأندلس طولاً وعرضًا ينتجعون قصور الأمراء حيث يظفرون بالمأوى والصلات ، ويحضرون مجالس أصحاب الأمر ، وتُدرج أسماؤهم في سجلات الدواوين ، وتقرر لهم الأرزاق ، وتخلع عليهم وظائف التدريس ، وقد كان الواحد منهم يرتجل المقطوعة القصيرة فيبلغ بها الوزارة ... وكان كبار القوم من ملوك ووزراء وأصحاب الوظائف الكبرى وسفراء لا يتراسلون إلا شعرًا ... حتى أصبحت حياتهم كلها شعرًا صِرفًا ... [٢].

وذلك بخلاف عصر المرابطين بالمرة والذي كان رجال دولته لا يفهمون الشعر ولا يبشون لمعانيه ، للموقف المتشدد من فقهاء المالكية أصحاب السطوة والحل والعقد الأمر الذي سيكون له تداعياته السلبية .

وعليه فإن القارئ المُلم بحيوات الشعراء في عصر المرابطين ليجدهم بالإجماع هم من شعراء دولة الطوائف ؛ والتي أعطت مطلق الحرية للمبدع فانطلق لسانه ، وتكونت شاعريته في كل مجالات الحياة ، لأن الشعر إلهام وإبداع ينهض وينشط في جوار السلطة التي تفهمه وتقدره .

وليس أدّل على ذلك من الملاحظة الدقيقة التي ألمح إليها د/ سعد شلبي قائلاً : [٣].

" ونظرة إلى الشعراء الذين ذكرهم الفتح بن خاقان في كتابه قلائد العقيان تؤكد أن الشعراء الرؤساء وأبناءهم ، وأعيان الوزراء ، والكتاب البلغاء وحتى القضاة ، وكل من أجاد الشعر في عصر المرابطين.. إنما اكتسبوا ثقافتهم وأسسوا شاعريتهم وتحقق لهم النبوغ الفني في عصر الطوائف " [٤].

والملاحظة النقدية الثانية هنا والجديرة بالذكر :

أن معظم الشعراء المشهورين ، والذين نالوا حظوة أيام عهد المرابطين – هم من الكُتَّاب الذين أجادوا النثر كما أجادوا النظم ، ومن المعلوم أن النثر الفني علا شأنه وارتفع عَلَمُهُ وبرز شأوه على حساب

---

(١) للتفصيل . الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه . غرسيه غومس ترجمة د/ حسين مؤنس ، نشر مطبعة ، لجنة ، التأليف والترجمة والنشر مصر– سنة ١٩٥٢م ، ص/٧٤ وما بعدها .

(٢) الشعر الأندلسي غرسيه غومس ، ترجمة د/ حسين مؤنس ، ص/١٨ وما بعدها بتصرف .

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، مرجع سابق ، ص/٥٩ ، ٦٠ .

(٤) للتثبت يراجع قلائد العقيان ومجالس الأعيان لابن خاقان ، ت سنة ٥٢٩هـ ، تح : د/ حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار – الأردن ، ط الأولى سنة ١٩٨٩م .

الشعر في عهد المرابطين ، لأنها دولة الحروب والقتال ، ودولة الفقهاء ، ومن ثم كان النثر الفني هو سبب بقاء هؤلاء الشعراء ووصولهم لمناصب الوزراء الكتاب من أمثال ابن زيدون ، وابن عمَّار ، وابن لبُّون، وهؤلاء أيضًا إنما يرجع تأسيسهم الفكري والإبداعي لعصر الحرية والإبداع عصر الطوائف . وهذا هو ما قصده صاحب قلائد العقيان في ترجمته لهم تحت عنوان : (محاسن الوزراء والقضاة والكتاب)[١].

والواقع أن الأدب الأندلسي يؤكد اهتمام المرابطين بالنثر الفني [٢] عامة ، والكتابة الفنية خاصة ، والخطابة اهتمامًا بالغًا عن الشعر .

وذلك لأنها كانت دولة حربية عسكرية ، ودينية متشددة ، فإذا كانت منزلة الشاعر قد تأخرت إلى حد كبير ، فإنهم قد اهتموا بالكُتَّاب للاحتياج إليهم في الترسُّل الديواني لكتابة الرسائل السياسية ، ورسائل الحرب والجهاد ، والرسائل السياسية ، وكتابة العهود ..

وعليه فقد شهد فن الرسالة عند المرابطين تطورًا ملحوظًا ، سواء في بنيتها أو في المواضيع التي عالجتها مما سبب طفرة نوعية للرسائل .. وذلك لاهتمام رجال الدولة بديوان الإنشاء ، والذي مثَّل ترجمة واضحة لمواقف الدولة السياسية والقانونية والأخلاقية ... ولذا فهي منبر الحكم في البلاد ، ومرسوم الحاكم إلى المحكوم [٣].

ولذا سَمتْ ، مكانة الكُتَّاب الشعراء في دولة المرابطين سموًا ملحوظًا وكان لهذه الطائفة خصوصيتها وأصالتها ، فقد ارتبطت " الكتابة بالرياسة والسلطان"[٤]، وهنا يظهر بالفعل تفاوت المكانة بين الأجناس الأدبية ، فيتجلى النثر الفني على حساب الشعر الذي ضعف وانحسر بسبب الفكر النقدي المتشدد والنظرة الأخلاقية المنغلقة ، كما سيتضح في المعالجة لرأي الكلاعي في تفضيله النثر على الشعر واتهامه له ، والحط من شأنه في كتابه (إحكام صنعة الكلام) كنموذج تطبيقي ندلل به على الانغلاق الفكري والتشدد المذهبي من فقهاء المالكية تحديدًا ، وأثره على ضعف الشعر ، والتضييق على الشعراء في عهد المرابطين .

***

(١) للتفصيل ، قلائد العقيان ومجالس الأعيان لابن خاقان ، مرجع سابق ، ج/٢- ص/٤١٥ .

ومما يلاحظ في نثر الشعراء الكتاب الوزراء الذين ذكرهم ابن خاقان ، غلبة الشاعرية على نثرهم مما يلفت الأنظار إلى جماليات الإبداع النثري عند هؤلاء والذي لاشك تأثر بأسلوب الشعر عندهم ..

(٢) للتفصيل . الرسائل الإخوانية في عهد المرابطين دراسة فنية ، ماجستير الجزائر ، د/ عبد الرحمن غراب ، سنة ٢٠١٧هـ ص ٢٥ ، وما بعدها .

(٣) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، د/ إحسان عباس ، ط الثانية ، سنة ١٩٩٣م ، ص/٣٣ .

(٤) تاريخ النقد الأدبي في الأندلسي د/ محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨١ ص٣٣.

المبحث الأول

الكلاعي وكتابه(إحكام صنعة الكلام) نموذجًا تطبيقيًا للتشدد الفقهي في عهد المرابطين

ويتمثل ذلك الموقف المتشدد حيال الشعر والشعراء من فقهاء المالكية في دولة المرابطين بالأندلس في (كتاب إحكام صنعة الكلام) لابن عبد الغفور الكلاعي[١].

المطلب الأول : حول الكتاب : ترجع أهمية الكتاب من الوجة النقدية إلى ما يأتي :-

- الكتاب الوحيد الذي وصل إلينا كاملاً ويبرز ظاهرة تشدد الفقهاء في عصر المرابطين إذ عاش الرجل في زمن المرابطين وفي بلاطهم .
- سيطرة الناحية البلاغية عليه وتطبيقها على فنون النثر العربي .
- الفكرة التي قام عليها الكتاب تفضيل النثر على الشعر .
- الذي يعنينا في هذا الكتاب المبحث الخاص بـ (الترجيح بين المنظوم والمنثور) وهو الجزء الذي تقوم عليه هنا الدراسة الأدبية والنقدية للرجل وفكره .
- **وهذا المبحث : (الترجيح بين المنظوم والمنثور)** هو بالأصل جزء من كتاب مفقود للكلاعي سماه " ثمرة الآداب " ولكنه أعاده في الإحكام . وكأنه إصرار على موقفه النقدي المنغلق من الإبداع الشعري على امتداد مسيرة الرجل الفكرية والتأليفية .

فالرجل كان من كُتَّاب السلطان – فقد كان وزيرًا وكاتبًا وفقيهًا – وكان لهؤلاء الكُتّاب مكانتهم البارزة ، فما قصد إلا توطيد مكانته مؤكدًا من ناحية على إبراز تفوقه في امتلاك ناصية التعبير الأدبي ، فعاب الشعر وفَضَّل عليه النثر ؛ لأنه التجارة الرابحة في ذلك الوقت (فلقد كان للكاتب في الأندلس شخصية أكثر ظهورًا في المجتمع وأعظم ألقًا ... لحاجة السلطان إليه في توجيه أمور الحكم ، وكان ارتباط خطة الكتابة بالرياسة والسلطان السبب الأول في شهرة الكُتَّاب وذيوع صيتهم ... وقد زاد من مكانة الكاتب أنه كان يصل في بعض الأحيان إلى مرتبة الوزارة لما يبديه من البراعة في تصريف الأمور) [٢].

والكلاعي كان فقيهًا ، وكاتبًا ، ووزيرًا ؛ ومن ثم فإن الرجل لا ينطلق من اعتبارات موضوعية منصفة ،

---

(١) الكلاعي هو ذو الوزارتين أبو القاسم محمد بن عبد الغفور الأشبيلي ، من أسرة عريقة في العلم والأدب والسياسة ، كان والده كاتبا ووزيرًا في عهد المعتمد بن عباد في أشبيلية ، كما كان هو أيضًا كاتبًا وزيرًا أيام على بن يوسف بن تاشفين ، قضى حياته بين رجال السياسة في عصره ، وكانت له سطوة الفقيه العالم والكاتب الوزير .. أسهم بنصيب وافر في التأليف العلمي في عصره ؛ حيث زادت مؤلفاته على سبعة كتب لم يصلنا منها غير (إحكام صنعة الكلام) – للتفصيل : إحكام صنعة الكلام ، تحقيق : د/ محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت – ط الأولى سنة ١٩٦٦م ، ص:٦، وما بعدها ، وأبو القاسم الكلاعي الأندلسي وجهوده الأدبية والنقدية في كتاب إحكام صنعة الكلام ، د/ عباس عبيد العامري ، العراق ، جامعة كربلاء – كلية التربية – قسم اللغة العربية ، على الشبكة العنكبوتية (النت) .

(٢) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، د/ محمد رضوان الداية ، مؤسسة الرسالة ، ط الثانية ، ١٩٨١م ، ص/٣٣ – ٣٤ .

وإنما من اعتبار ذاتي نفعي في المقام الأول الأمر الذي يؤكد (أن الثقافة المسيطرة هي ثقافة الفقهاء ، والمكانة السامية في الدولة صارت للفقهاء ، ولم تعد الفرصة مهيأة أمام الشاعر ليحرز عند الأمير منزلة سامية إلا أن يكون فقيهًا)[١].

وهنا يتغلب الفقهي على الأدبي ، ويظهر سبب من أسباب انغلاق فقهاء المالكية، ورفضهم للآخر في حكم المرابطين .

– يسيطر على الكتاب طريقة الفقهاء في كثرة التقسيمات والمصطلحات التي وضعها الرجل .

– ينطوي المبحث الذي عقده الكلاعي (مفضلاً النثر على الشعر) على عُقدة نفسية راسخة في الذهنية الأندلسية وهي عقدة المفاضلات حيث مَثَّلتْ هذه المفاضلات مفهومًا مركزيًا في النسق الثقافي الفكري عند الأندلسيين بصفة عامة ، يدفعها نوع من التعصب للمكان الأندلسي ضد سطوة الثقافة الوافدة من المشارقة وقصدًا لإثبات الذات وإظهارًا للشخصية الأندلسية بما تتفوق فيه وتتميز– أعنى– جانب النثر الفني [٢].

يستهل الكُلاعي نقده قائلاً بأن ما يطرحه هو من باب "المستطرف والمستغرب" [٣]، ومن ثم نجده يناقض نفسه في السطر الثاني مباشرة قائلاً (إن الترجيح بين المنثور والمنظوم يَمٌّ قد خاض فيه الخائضون ، وميدان ركض فيه الراكضون) [٤].

ومن المعلوم أن المفاضلة بين المنظوم والمنثور سبق إليه الأدباء والعلماء من قبله سواء من المشارقة أو الأندلسيين [٥].

ولعلنا نلمح الغمز واللمز الخفي في قوله : " والترجيح بين المنظوم والمنثور يَمٌّ قد خاض فيه

---

(١) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/٥٨ ، ٥٩ .

(٢) للتفصيل والزيادة ، المفاضلات في الأدب الأندلسي الذهنية والأنساق ، د/ آدي ولد آداب ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط الأولى سنة ٢٠١٢م ، ص/٨٣ ، وما بعدها .

(٣) إحكام صنعة الكلام الكلام للكلاعي ، ص/٣٦ .

(٤) السابق ، ص/ ٣٦ .

(٥) فقد تناوله المشارقة أمثال أبي سلمان المنطقي ت سنة ٣٨٠هـ ، وأبي إسحاق الصابي سنة ٣٨٢هـ ، وأبي حيان التوحيدي ت ٤١٤هـ في الإمتاع والمؤانسة ، والمقابسات ، والهوامل والشوامل ، وابن رشيق القيرواني ت سنة ٤٥٦هـ ، ومن الأندلسيين : ابن شهيد ت ٤٢٦هـ ، وابن حزم الأندلسي ت ٤٥٦هـ ، والسرقسطي صاحب المقامات اللزومية ت ٥٣٨هـ ، وابن بسام ، ت ٥٤٢هـ صاحب الذخيرة ... الخ .

للتفصيل : المفاضلات في الأدب الأندلسي الذهنية والإنساق ، د/ أدي ولد آدب . مرجع سابق ، ص/١٧٢ وما بعدها ، والمفاضلة بين الشعر والنثر في التراث النقدي الأندلسي ، د/ شريف راغب العلاونة مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها مجلد ١٨– عدد (٣٧) سنة ٢٠٠٦م ، ص/٤٦٤ وما بعدها .

الخائضون " والمعلوم أن الخوض لا يكون إلا في الباطل أو الانغماس فيما فيه فساد . قال الله تعالى : « طح طم ظم عج »[١]. حكاية عن أهل النار . والكلاعي عالم ، وكاتب ، ولُغوي ، وفقيه – فلا أظنه إلا متهكمًا ساخرًا ، خاصة ممن فضلوا الشعر على النثر ؛ لأن ما يأتي من آرائه يتفق مع ذلك ويؤكده إذْ جعل الشعر داعيةً لسوء الأدب ، والغلو في الدين ، ... كما قاله هو .

وفي هذا تجاوز وإساءة بالغة لأهل العلم ممن سبقوا الرجل إلى القضية .

وبأسلوب المفارقة يسيء الكلاعي إلى الشعر من جهة الوزن والقافية ، ثم يرتد إلى فكرة تمييز النثر على النظم مُلبسًا علينا بوضعنا أمام حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم– ، وكأنه من باب إسكات الخصم بالأجوبة المسكتة – فلا اجتهاد مع النص، إذْ يقول الرجل ما نصه : " ورأيي أن القريض قد تزين من الوزن والقافية بحلة سابغة ضافية ، صار بها أبدع مطالع ، وأنصع مقاطع ، وأبهر مياسم ، وأنور مباسم ، وأبرد أُصُلا، وأشرد مثلا ، وأهز لعطف الكريم ، وأقلَّ لعزب[٢] اللئيم ، لكن النثر أسلم جانبًا وأكرم حاملاً وطالبًا ، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : " **لأن يمتليء جوف أحدكم قيحًا خير من أن يمتلئ شعرًا** " ؛ ولم يقل كتابة ولا خطابة " [٣].

يظهر تناقض الكلاعي مع نفسه في جعله الوزن والقافية هي محاسن الشعر وميزته من خلال تكراره لأفعل التفضيل (أبدع – أصنع – أبهر – أنور ...) ثم نلقاه مرة أخرى يجعل الوزن والقافية من معايب الشعر ومقابحه إذ يقول : "ومن معايب الشعر ما فيه من الوزن ، لأن الوزن داع للترنم ، والترنم من باب الغناء ، وقد قال بعضهم : الغناء رقية الزنا ، وقال الكِندي : الغناء برسام حاد ، لأن المرء يسمع فيطرب ... الخ " [٤].

يقول صاحب كتاب المفاضلات معلقًا على هذا الموطن : "والكلاعي قد تناقض مع نفسه حين عد الوزن من زينة الشعر، ثم عده من معايبه "[٥]، وفي هذا يظهر تناقض الرجل مع نفسه [٦].

وأما استشهاده بالنص النبوي الشريف ليعيب الشعر ، ففيه ردود :

الأول : أن الكلاعي وهو الفقيه المتشدد ؛ قطع الحديث عن سياقه بحذفه لخاتمة الحديث وهي أهم أجزائه ؛ لأن الحديث الشريف له تكملة في مستدرك السيدة عائشة – رضي الله عنها – "ففي مستدرك

---

(١) المدثر ، الآية ٤٥ .

(٢) الغرب – الحدة والشدة في الطباع .

(٣) إحكام صنعة الكلام ، ص/ ٣٦ .

(٤) المرجع السابق ، ص/٣٨ .

(٥) المفاضلات في الأدب الأندلسي ، ص/١٧٥ .

(٦) المفاضلة بين الشعر والنثر في التراث النقدي الأندلسي ، ص/٤٧٤ .

الزركشي – أن عائشة – رضي الله عنها– قالت مستدركة على أبي هريرة لم يحفظ الحديث " إنما قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– : " لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحًا ودمًا خير له من أن يمتلئ شعرًا هُجيت به " [١].

الثاني : – مما يؤخذ على فقهاء المالكية في الأندلس إبان حكم المرابطين تشددهم وانغلاقهم الفكري والأخذ بظاهر النصوص دون إعمال الفكر ، والتمسك بالفروع دون الأصول في الكتاب والسنة ، والتقليد للموروث الفقهي حرفيًا ، ومن المعروف " أن المقلدة لا يتعهدون كتب المذاهب ، وأقوال الأئمة ولا يتفقدونها بالمراجعة ، والتنقيح ، والتصحيح ، والتأصيل ، بل يرضون بها ، ويسلمون بما فيها، على أنه وحي مقدس ، لا يقبل المناقشة ولا النقد ولا الرد ... "[٢].

وبلغ من تشددهم تحريم علم الكلام والفلسفة ، وإحراق كتبها ؛ – مثلما فعلوا مع كتب أبي حامد الغزالي ، وذلك دليل على الجمود الفكري ، ومحاربة الاجتهاد ، والتجديد ومعاداة التيارات العقلانية وأنصارها ، وعدم استعمال الرأي في الأحكام.... بما سبق عرضه سابقًا .

وعلى هذا النهج ينطلق الكلاعي في حكمه على الشعر والإقلال من شأنه بما يتفق وهذه العقلية المتحجرة ، فلا اجتهاد مع النص ، والحديث السابق على ظن الكلاعي يُغلق القضية ويسكت الأفواه ، ولذا كان الأثر السيء على دولة الشعر والشعراء آنذاك .

وقد لقي المنهج المتشدد من مالكية المرابطين رفضًا واسع المدى عند كثير أهل العلم في الأندلس من مثل ما نجده عند "ابن عبد البر ، والباجي ، وابن العربي "[٣] وغيرهم من أهل الوسطية آنذاك .

المطلب الثاني : الدين ضد الشعر :

والقارئ لكتاب الإحكام يرى أن الكلاعي تسيطر عليه النزعة الضيقة والمتشددة ، والتي تميل إلى القول بأن الشعر لا يتفق مع الدين يقول :

" فالشعر داع لسوء الأدب ، وفساد المنقلب ؛ لأنه لضيقه وصعوبة طريقه – يحمل الشاعر على الغلو في الدين ، حتى يؤول إلى فساد اليقين ويحمله على الكذب ، والكذب ليس من شيم المؤمنين "[٤] ، ولذا ولذا فقد ترك الشعر إلى النثر تزهدًا وتدينًا يقول عن نفسه :

---

(١) للتفصيل : الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ، الإمام بدر الدين الزركشي ، تحقيق وتقديم ، سعيد الأفغاني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط الثانية سنة ١٩٧٠م ، ص/١٢٢.

(٢) منهج النقد في الفقه الإسلامي ، المذهب المالكي نموذجًا دراسة تحليلية ، د/ صرموم رابح ، دكتوراه ، الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإنسانية سنة ٢٠١٥م ، ص/٨٧ ، ٢٠٤ .

(٣) السابق ، ص/٣٠٤ .

(٤) الإحكام ، ص/ ٣٧ .

" فنزعت منزعًا كريمًا من علم الديانة ، واقتصرت من قسمي البلاغة على قسم الكتابة ، لأنها أنجح عاملاً، وأرجح حاملاً " [١].

ويقول : " وقد نزهت طائفة من العلماء اسم الله تعالى عن الاستفتاح به فكتبوا في أول قصائدهم بذكر (الله أكبر) فمتى ما كتبوا رسالة أو خطبة لم يفعلوا ذلك وكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم ... "[٢]. إلى آخر ما أورده الرجل من نقده المنغلق محاولاً إيهامنا بتدينه – وإنه ما ترك الشعر إلا طلبًا للدين والنسك والورع والتقرب إلى الله .

ويمكن الرد عليه بما يأتي :

١– أن الكلاعي نفسه كان شاعرًا يجيد الشعر وهو القائل عن نفسه = " وقد كُنت مُولعًا بترصيعه وتصنيعه مائلاً في تقريطه وتشنيفه إلى رتبة كنت أعدها أعلى المراتب، ومنقبة كنت أعتقدها أسمى المناقب " [٣].

وقد ترك الشعر إلى النثر يقول : " إلى أن رفضته رفض الشعلة للزناد ، ونفضته نفضًا القادم الغانم جاف الزاد ... ، واقتصرت من قسمي البلاغة على قسم الكتابة"[٤].

٢– إن الكلاعي ما ترك الشعر برضاً وقناعة فكرية من تلقاء نفسه ، ولكنه تركه مرغمًا لأجل مسايرة الثقافة السائدة في عصر المرابطين وهي ثقافة نفعية إلى حد كبير، والتي بلغ الكاتب فيها مبلغًا عظيمًا وتبوَّأَ مكانة لا يضاهيها مكانة إذ (كان للكاتب في الأندلس شخصية أكثر ظهورًا في المجتمع ... وقد زاد في مكانة الكاتب أنه كان يصل في بعض الأحيان إلى مرتبة الوزارة لما يبديه من البراعة في تصريف الأمور ، أو لما يكون فيه من المواهب) [٥] ؛ والكلاعي كان كاتبًا وزيرًا في دولة المرابطين حتى إنه سُمي بذي الوزارتين ، بل كان كاتب السلطان[٦] في مراكش مقر الحكم والسيادة في دولة المرابطين .

إضافة إلى " كون المكانة السامية في الدولة صارت للفقهاء ولم تعد للشعراء فالثقافة المسيطرة هي الثقافة الفقهية " [٧] ، وكان الرجل من كبار الفقهاء .

---

(١) السابق ، ص/٢٧ .

(٢) السابق ، ص/٣٩ .

(٣) الإحكام ، ص/٢٧ .

(٤) السابق ، ص/ ٢٧ .

(٥) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس ، د/ محمد رضوان الداية ، ص/٣٣ ، ٣٤ .

(٦) السابق ، ص/ ٤٠١ .

(٧) دراسات أندلسية ، د/ سعد شلبي ، ص/ ٥٩ .

المطلب الثالث : " التكسب بالمديح .

ومن عيوب الشعر عند الكلاعي (التكسب بالمديح) ولذا رجع عنه إلى النثر يقول :

(فالشعر يحملُ على الكذب ، والكذب ليس من شيم المؤمنين ومن كلام البلغاء " إياك " والشاعر فإنه يطلب على الكذب مثوبة ، ويُقّرع جليسه في أدنى زلة...) [١].

ويقول : (ومن معايبه أنه قلما يجيده إلا مكتسب به ، فمنه قولهم بِيْعَ الشعر بالسِّعر ، وقولهم لسان الشاعر أرض لا تخرج الزهر حتى ينسكب المطر) مستشهدًا بقول أبي سعيد المخزومي [٢] :

الكلب والشاعر في حالة يا ليت أنّي لم أكن شاعرًا

أما تراه باسطًا كفه يستطعم الوارد والصادرا

ويمكن نقد ذلك بما يأتي :

تناقض الرجل مع نفسه بداية إذ جعل التكسب من معايب الشعر وفي الوقت نفسه يقر بأنه دافع من دوافع الإبداع الشعري (فإنه لا يجيده إلا متكسب به، واللُّهى تفتقُ اللَّهى ، ولا يخرج الشعر الزهر حتى ينسكب المطر والعطاء) .

– فكيف يُعد التكسب أو العطاء على الشعر عيبًا ، وهو إحدى دوافع الإبداع والقوة المحركة له ، يقول ابن رشيق القيرواني : (وقالوا قواعد الشعر أربع ، الرغبة، والرهبة ، والطرب ، والغضب ؛ فمع الرغبة يكون المدح والشكر ، ...) [٣].

وهذا ابن رشيق يضرب لنا مثلاً (بأرطاة بن سهية عندما قال له عبد الملك بن مروان : أتقول الشعر اليوم ؟ فقال : لا أطرب ، ولا أغضب ، ولا أشرب ، ولا أرغب ، وإنما يجيء الشعر عند إحداهن) [٤].

[٤].

ويعلل الشاعر الخريمي جودة مدائحه بهذه الدافعية قائلاً : " كنا مع المديح نعمل على الرجاء ، ومع الرثاء نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد "[٥] الأمر الذي يؤكد أن فن المديح إنما يقوى ويشتد فنيًا وإبداعيًا بتوافر العامل المادي والمعنوي من الممدوح ، والعامل الفني من الشاعر .

---

(١) الإحكام ، ص/ ٣٧ .

(٢) السابق نفسه .

(٣) العمدة في محاسن الشعر ، لابن رشيق ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – ط الخامسة – ١٩٨١م، ج١ ، صـ ١٢٠ .

(٤) العمدة في محاسن الشعر ، لابن رشيق ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل – ط الخامسة – ١٩٨١م، ج١ ، صـ ١٢٠

(٥) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة الدينوري ، تح / الشيخ شاكر ، دار المعارف ، ج١/ ٧٩ ، وهي إجابة لسؤال من أحمد بن يوسف الكاتب يستفهم فيه عن الفارق الفني بين المديح والرثاء في شعر الخريمي .

٣- إن هذا التشدد لم نألفه حتى في زمن الرسول – صلى الله عليه وسلم- ومع صحابته ، فلم نقرأ أن النبي – صلى الله عليه وسلم- قد حرَّم الشعر بسبب التكسب ومذلة الطلب ، وإلا فبم نفسر مكافأة النبي – صلى الله عليه وسلم- لحسان عندما بنى له منبرًا في مسجده [١]، وكسا النبي – صلى الله عليه وسلم- عباس بن مرداس حُلة تقديرًا لشعره [٢] ، وأعطى لكعب بن زهير على قصيدته التي بدأها بالغزل في بانت سعاد بردته الشريفة مكافأة له وتشجيعًا للإبداع واعترافًا بقيمة شعر المديح منه – صلى الله عليه وسلم- وحتى عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد سمع الشعر ، وأجاز الشعراء عليه وأعطاهم رغم وَرَعِهِ وزهده المعروف عنه ، بل إن الذي أفتى له بجواز إعطاء الشعراء ومكافأتهم الفقيه عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود – رضي الله عنه – وأرضاه [٣].

– الاتكاء على تأكيده كلامه بعد الشعر عيبًا بسبب التكسب ، واستشهاده بأبي سعيد المخزومي ، مع العلم بأن " المخزومي هذا شاعر كانت بضاعته الهجاء مع دعبل الخزاعي ، ثم إنه كان دعيًّا في قومه ، فكان بنو مخزوم لا يعرفون له فيهم نسبًا"[٤] ، فقد ادعى الشاعر في بني مخزوم ولم يكن منهم ، لكنه لكنه عُرف بهم فقط أو انتسب إليهم ادعاءً .

فالكلاعي يستشهد بشاعر مغمور ، يعاني صراعًا نفسيًا جرَّاء نسبهِ الضائع ، ولم يكن من كبار شعراء المديح ، أو من الذين كانت بضاعتهم هذا الفن ... وما أعده من الوجهة النفسية إلا مثل الحطيئة الناقم الساخط [٥] ، وابن الرومي الذي عاش في دوامة الأخلاط السوداء كما يقول العقاد[٦]

ولو كان استشهاد الكلاعي بشعر المتنبي ، أو البحتري ، أو أبي تمام ، أو حتى سلم الخاسر " الذي كان مقربا عند الخلفاء وكان ملازمًا لحياة البلاط " [٧] ، أو مروان بن أبي حفصة شاعر الخضرمة

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت ، البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص/٥٧ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه ، تح : د/ عبد المجيد الترجيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان – سنة ١٩٣٩م ، ١/ ٣٣٧ .

(٣) للتفصيل : الخليفة عمر بن عبد العزيز والشعر ، ط/ عبد الحميد المعيني ، طبع ونشر نادي أبها الثقافي ، ط الأولى سنة ١٩٨٦م ، ص/٢١ وما بعدها .

(٤) الأغاني للأصفهاني ، تح/ د. إحسان عباس وآخرون ، طبعة دار صادر – بيروت – ط الثالثة سنة ٢٠٠٨م ، ج/٢ – ص/٩٢ ، وما بعدها .

(٥) للتفصيل الهجاء في شعر الحطيئة ، دراسة نفسية وفنية ، د/ شوادفي أحمد علام ، ط الأولى٢٠٠٢م ، ص١١ وما وما بعدها .

(٦) ابن الرومي حياته من شعره ، نهضة مصر / ط الأولى ، يناير ٢٠٠٩م ، ص١٠٧ .

(٧) شعراء عباسيون ، غوستاف فون غرنباوم ، ترجمة د/ محمد يوسف نجم ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ،

المتلون ، أو أي أحد من شعراء هذا الفن – أعني فن المديح – لوقع الحافر على الحافر وأصاب المقصد .

وذلك لأن معظم شعراء هذا الفن هم من عالجوه وعاركوه ، ويمكن أن تؤخذ عنهم وجهات النظرا لمعتبرة – فمن ذاق عرف – فكل الشعراء الذين مارسوا هذا الفن – المديح – تملكهم الزهو بشعرهم ، وأعلوا من شأن إبداعهم ، وطلبوا عليه العطاء ؛ خاصة في العصر العباسي ، ناهيك عن قُبح تشبيه الشاعر بالكُلب ، وهو أمرٌ يمجه الذوق ويأباه أهل العلم في أشد مواقف الاختلاف والمعارضة مع الآخر.

ومن ذلك مثلاً مما يمكن أن نسميه (النسق المعرفي السائد) عند شعراء هذا الفن قول أشجع السلمي لهارون الرشيد : (من مجزوء الكامل)

أبلـغ أميـر المـؤمنين رسالـةً لـها عنَـقٌ بـين الـرواة فسـيح

بأنَّ لسان الشعر ينطقه الندى ويخرسُـه الإبطـاءُ وهـو فصـيح[1]

وقول أبي نواس :

صببتُ على الأمير ثيابَ مدحي فكلُّ الناسِ حسَّن واستجادا

ولولا فضلُه ما جاد شعري ولا أعْطتني الفطنُ القِيادا

وقالوا قد أجدتَ فقلتُ إنّي رأيت الأمرَ أمكنني فجادا [2]

ومن هذا النسق قول البحتري لممدوحه الفتح بن خاقان : (الطويل)

فأقْسم لَوْلا جودُ كفيك لم يكُن نَوَالٌ ، ولا ذِكرٌ من الجُود يُعْلَمُ

إليك القوافي نازعاتٍ قواصدًا يُسيَّرُ ضَاحِي وَشْيِها وينُمنمُ

١٩٥٩م ، ص٧٨ .

(١) أشجع السلمي حياته وشعره ، د/ خليل بنيان الحسون ، دار المسيرة ، بيروت ، ط الأولى سنة ١٩٨١م ، ص/ ١٩٨ .

(٢) ديوان أبي نواس ، تحقيق : إيفالد فاغنر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر (٦٢) ، ج/١ ، ص/٢٨٥ .

ومُشرقةٍ في النَّظم غرًّا يزيدُها بهاءً وحُسنًا أنها لكَ تنظمُ

ضوامن للحاجاتِ إمَّا شوافِعًا مشفعةً أو حاكماتٍ تُحكم

وكأين غدتْ لي وهي شِعْرٌ مسيَّرٌ وراحتْ عليَّ وهْيَ مَالٌ مقسَّمُ[١]

هذا وإذا كان المديح عيبًا يُرد شعر الشاعر لأجله ؛ لما فيه من إساءة أدب ومذلة ... فلماذا استشهد الكلاعي بأبيات مديح واضحة – لجده [٢] في مديح المعتمد بن عباد ، وذلك قوله " ومن هذا القسم رسالة لجده – رحمه الله – إلى المعتمد بن عباد ... وهي :

ظفـرت بالأعـداء يـا ظافـر ونلـت مجـدًا نـوره باهـر

فمنك للباغي وللمبتغي عَضبٌ جراز ، وندى غامر[٣]

فرد عليه المعتمد :

عنّت لنـا طيـر القريض الـذي حكـت ، فكـان الأجـدل الخـاطرُ

وبـث قلبـي شـرك الفهـم كـي يعلقهـا عقعقهـا النافـر

فأنشـدت لمـا ظفرنـا بهـا "ظفـرت بالأعـداء يـا ظافـر"

لـي همـة تـدرك مطلوبهـا مـا فاتهـا سـاعٍ ولا طائـر

يفديـك بالنفس فتىً فيـك مدى أيامـه ناضر[١]

---

(١) ديوان البحتري ، تحقيق وشرح : الشاعر / حسن كامل الصيرفي ، ط الثالثة سنة ١٩٦٠ ، دار المعارف ، ج/٣، ص/١٩٣٠ ، ١٩٣١.

(٢) وجده : هو الوزير الكاتب أبو القاسم محمد بن عبد الغفور ، كان من رجال الدولة في أشبيلية أثناء حكم المعتمد بن عباد ، وقد سُمي بذي الوزارتين ، وتوفى في حياة المعتمد ورثاه المعتمد بن عباد .

(٣) الإحكام ، ص/ ٦ ، ٧ .

وُدُّه

ومن تناقضه مع نفسه إجازته للاستمناح والطلب (بالنثر الفني) [٢] مع أن من معايب الشعر عنده التكسب به ؛ لأنه سبب للغلو في الدين ، والكذب والمبالغة ، والكذب ليس من شيم المؤمنين [٣] فأي الحكمين نُصدق ؟!

المطلب الرابع : تعدي الضرر الأدبي من الشعر إلى النقد :

كما أدى تشدد فقهاء المالكية إلى انحسار الشعر وضعفه في دولة المرابطين فكذلك تعدى الضرر والتجني إلى النقد الأدبي ، فمن المعلوم أن النقد القديم قوي واشتد عوده بسبب فن المديح سواء أكان ذلك من النقاد المتخصصين ، أو من الخلفاء الأمراء في مجالسهم الأدبية أو الشاعر نفسه بصفته خير النقاد .

ومن ثم فإن ارتباط المديح التكسبي بالسلطة يعد من أهم البواعث لقوة النقد[٤] ، فقد نشأت معظم القضايا النقدية في النقد العربي القديم من خلال المديح والتكسب بالشعر ، وجاءت تقعيدات النقد مرتبطة بهذه القصيدة المدحية [٥].

وهذا خير كله أثرى الإبداع الشعري ، والإبداع النقدي كذلك ؛ لأن هؤلاء النقاد " نظروا إلى شعر التكسب من وجهة نظر فنية إبداعية ، وجمالية ، تتعلق بصياغته ، وقوة تأثيره وجاذبيته ، وتتوافر فيه أعلى درجات الإبداع لأن التكسب دافع قوي للغاية ، وهذا يدفع الشاعر إلى التجويد ، والتميُز بسبب المنافسة ...الخ"[٦]

وقد تجلى أثر قصيدة المدح التكسبي في النقد بوضوح خاصة عند نقاد القرن الرابع الهجري من أمثال قدامة بن جعفر ٣٣٧هـ ، والآمدي سنة ٣٧٠هـ ، والجرجاني صاحب الوساطة سنة ٣٩٢هـ ، وأبي هلال العسكري سنة ٣٩٥هـ ...الخ .

ولكننا نجد الكلاعي بفكره الفقهي يضرب بهذا الموروث الإبداعي والفكري للنقاد القدامى عُرض الحائط

---

(١) الأحكام ، ص/ ١٩٧.

(٢) السابق ، ص/ ١٠٦ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) السابق ، ص/ ٣٧ .

(٤) مفهوم الشعر في التراث العربي ، النشأة والتطور – د/ أحمد حلمي عبد العليم ، سلسلة كتابات نقدية ، الهيئة العلمية لقصور الثقافة سنة ٢٠١٣، ص / ٢٠٨ .

(٥) ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده ، د/ درويش الجندي ، دار نهضة مصر ، سنة ١٩٧٠م ، ط الأولى ، ص/١٦٩ .

(٦) ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم ، د/ رائد عبد الرحيم ، فلسطين ، جامعة النجاح– نابلس– مجلة جامعة الأزهر بغزة ،ة سنة ٢٠١٠ ، المجلد ١٢، العدد (١) ، ص/٤٤٤.

وكأنه يؤسس لنقد جديد ؟!

لأن شعر التكسب بالأصل كما يدعي هو " سبب لطلاقة اللسان في قول الزور، والخوض في المهجور... ، وقال – صلى الله عليه وسلم– : ما أعطى عبد شرًا من طلاقة اللسان ، ولأنه يعين الشاعر على الكذب ، والكذب ليس من شيم المؤمنين ، والشعر إذ جُعل مكسبًا لم يترك للشاعر حسبًا ... ومن معايبه أن يحمل الشاعر على خطاب الممدوح بالكاف ودعائه باسمه ، ونسبه إلى أمه ، وهذا كله من سوء الأدب أو داعيًا إليه ... " [١].

هكذا وبتعقيد المتعصبين فكريًا والمتعصبين لمعتقداتهم نجد الكلاعي يعُد الجهود النقدية لعلماء النقد القديم وربطها بقصيدة المدح التكسبي نجده – يجعلها – سوء أدب أو داع إليه .

فجنى على النقد وحرم العصر المرابطي من التجديد فيه أو الإضافة إليه أو حتى الإبقاء على نتاج السابقين ، كما جنى على الشعر ، فالنثر عنده أفضل لأنه آمَنَ وأسلم ، وخروج عن سوء الأدب والفكر، وأبعد عن قول الزور ، والغلو في الدين ..

المطلب الخامس : الادعاء بتنافر الشعر والكتابة :

من المغالطات النقدية التي أوردها الكلاعي للتقليل من قيمة الشعر قوله : "الكتابة والشعر شيئان متنافران ، لتنافر طبائع أهلها ، ومن أمثالهم اثنتان قلما يجتمعان : اللسان البليغ ، والشعر الجيد " [٢].

ولا ندري من أين يتأتى لابن عبد الغفور الكلاعي هذا الحكم النقدي المجاوز للصواب تمامًا ، والبعيد عن الحقيقة العلمية بما عفى عليه الزمن في الدرس الأدبي والنقدي .

فهل الشعر متنافر – متضاد مع الكتابة الفنية (من حيث الجنس الأدبي) ؟ وهل طبيعة الشاعر تغاير وتختلف مع طبيعة الكاتب (من حيث المبدع نفسه) ؟

وهل حقًا لا يجتمع – اللسان الفصيح مع الشعر الجيد ؟

ويمكن الرد على هذه الفرية بما يأتي :–

– من خلال عصر (الكلاعي نفسه) وليس بعد العين أين ، كان الكُتَّاب النابهون الذين هم بالأصل شعراء ؛ مثل ابن خفاجة الأندلسي ، وابن أبي الخِصال وغيرهم، بل بات تاريخ الأدب الأندلسي نفسه منذ نشأته يشهد بعكس ما يدعيه الكلاعي .

فكم كان هناك من الشعراء الذين أجادوا الكتابة في بلاط الأندلسيين مثل ابن الأبّار ... وغيرهم الكثير [٣].

---

(١) الأحكام للكلاعي ، ص/٣٥ .

(٢) الأحكام ، ص/ ٣٩ .

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/٦١ .

ولذا يقول د/ السيوفي : " ويندر في التاريخ الأدبي الأندلسي أن نجد شاعرا لم يعالج الكتابة الفنية في كثير من معانيها وأغراضها " [١].

– والمفارقة الأعجب أن بلاط يوسف بن تاشفين زعيم دولة المرابطين كان مكتظًا بفقهاء المالكية ، وبالكثير من الشعراء الكتاب ؛ ومن هؤلاء الشعراء الفقهاء أبو عبد الله بن عائشة ؛ والكلاعي نفسه كان في المقام الأول شاعرًا كاتبًا فقيهًا ، في بلاط ابن تاشفين يقول الكلاعي عن شاعريته :

" كنت مولعًا بترصيعه وتصنيعه ، مائلاً في تقريطه وتشنيفه إلى مرتبة كنت أعدها أعلى المراتب ... فنزعت منزعًا كريمًا من علم الديانة ورفضتُ الشعرَ رفض الشعلة للزناد" ، واقتصرت على الكتابة لأنها أنجح عاملاً ، وأرجح حاملاً ، وأكرم طالبًا، وأسلم جانبًا[٢] ، بل قد أثنى على شعره صاحب مطمح الأنفس قائلاً : "وله شعر بديع السرور، مفوف البُرد ... " [٣].

وثالثة الأثافي أن ما ذكره الكلاعي من المناظرة المقحمة والاختلاف المزعوم بين الكتابة والشعر، يرفضه النسق العام للفكر السائد في الدرس الأدبي والنقدي منذ القدم ، وذلك عند الوقوف أمام (مصطلح الشّعراء الكتّاب) .

فكثير من الشعراء عُرفوا بالكتابة ، والعكس منذ العصر الجاهلي مثل : عدي بن زيد الشاعر الكاتب في البلاط الحيري ، ولقيط بن يعمُر الإيادي ، والمرقش الأكبر وتشتد الظاهرة في العصر العباسي من أمثال : الفضل بن سهل ، وأخيه الحسن بن سهل من الشعراء الكتاب في بلاط المأمون ، ومحمد بن عبد الملك الزيات كاتب المعتصم ووزيره ، وابن العميد ، والصاحب بن عباد ، والصابئ ، وكشاجم .. وغيرهم الكثير ممن شاع ذكرهم خاصة في القرنين الثالث والرابع خاصة من العصر العباسي[٤].

– قلت وشاعرية اللغة النثرية – عند الكُتَاب – والتي مبعثها أن هؤلاء في الأصل شعراء ... هي السبب الأقوى في تفضيلهم على غيرهم عند السلطة الحاكمة ... لأنهم لسانها ، ولذا دخلوا " الدواوين وأصبحت لهم الحظوة " يقول الجاحظ ت سنة ٢٥٥هـ : في عمق معرفة الكُتَّاب بالشعر ونقده .

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، د/ مصطفى السيوفي ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة سنة ٢٠٠٨م ، ص/ ٥٨ .

(٢) إحكام صنعة الكلام ، للكلاعي ص٢٧ .

(٣) مطمح الأنفس ، ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس ، تح د/ محمد علي شوابكة ، طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت سنة ١٩٨٣م ، ط الأولى ، ص/ ٢٢٠ .

(٤) للتفصيل ، الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري ، د/ حسين صبيح العلاق ، مؤسسة الأعلى ، بيروت ، ط الأولى سنة ١٩٨٢م ، ص/ ٤٩ ، وما بعدها ، وشعر الكتاب في القرن الرابع الهجري ، د/ وفيقة بنت عبد المحسن الدخيل ، مكتبة الملك عبد العزيز ، العامة ، الرياض سنة ١٤٢١هـ ، سنة ٢٠٠٠م ، ص/١١٩ وما بعدها .

" طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن إلا غريبه ، فرجعت إلى الأخفش فوجدته لا يتقن إلا إعرابه ، فعطفتُ على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل إلا ما اتصل بالأخبار ، وتعلَّق بالأيام والأنساب ، فلم أظفر بما أردت إلا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات " [١]. ويقول أيضًا :

فلم أرقط أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب ، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعرًا وحشيًا ولا ساقطًا سوقيًا [٢].

ومنهم المرزباني (ت ٣٨٤هـ) في معجمه حيث ترجم لعدد كبير منهم [٣].

ومنهم علي بن خلف (ت ٤٣٧هـ) في كتابه موارد البيان [٤].

ومنهم ابن رشيق القيرواني إذ وضع لهم بابًا سماه أشعار الكتاب ، وقد تعرض لهم ابن المعتز في الطبقات ، وكذا ابن الجراح صاحب كتاب الورقة .

ومنهم الجهشياري ت سنة ٣٣١هـ [٥].

ومنهم ابن النشابي الأربلي ت سنة ٦٥٧هـ ، وهو من الشعراء الكتاب قد خصص لهم فصلاً برمته تحت عنوانه " شعراء الكتاب " [٦].

– ويقوي ذلك كله ويعضده وينكر على الكلاعي قوله ويرده عليه قيام رسالة دكتوراه برمتها حول شعر الكُتَّاب في الأندلس زمن المرابطين [٧] .

وكل ذلك يدحض رأي الكلاعي ويؤكد أن لا منافرة ولا اختلاف ولا مشاحة بين الشعر والكتابة ، بل هما متكاملان، وكلاهما في أدب الأديب من عوامل رفعته ، ودواعي تميزه في مجال الإبداع الشعري، والنثري كذلك .

ومما يدل على تناقض الكلاعي مع نفسه قوله : " الشعر والنثر متنافران " [٨] ، ثم نجده يجمع بينهما

---

(١) العمدة ، لابن رشيق تح / محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، بيروت ، ج٢/ ١٠٥ .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ، تح أ/ عبد السلام هارون ، طبعة الحلبي وأولاده . مصر سنة ١٩٣٨م ، ج/١– ص/ ١٣٧ .

(٣) معجم الشعراء للمرزباني ، تح/ المستشرق كرنكو ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الثانية ، سنة ١٩٨٢م .

(٤) تحقيق : د/ حاتم الضامن ، مجلة المورد العراقية مجلد ١٧ ، العدد الأول ص/٤٣ ، وما بعدها .

(٥) الوزراء والكتاب للجهشياري ، تح/ مصطفى السقا ، ط٢ سنة ١٩٨٢م ، سلسلة الذخائر .

(٦) المذاكرة في إلقاء الشعراء ، لابن النشابي الأربلي الكاتب ، تح / شاكر العاشور في مجلة المورد العراقية ، المجلد الخامس عشر ، العدد الثالث سنة ١٩٨٦م ، ص/ ١٨٣ وما بعدها .

(٧) للتفصيل : شعر الكُتَّاب في الأندلس في ظلال دولة المرابطين والموحدين ، دراسة موضوعية فنية، د/ محمد الشحات السعيد محمد ، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م مخطوطة كلية اللغة العربية بالمنصورة – جامعة الأزهر .

(٨) الإحكام ، ص/ ٣٩ .

عند حديثه عن (حل المنظوم) .

المطلب السادس : السجع عيب في الشعر .

– ومما يؤخذ على الكلاعي ، ويعد من باب التناقض في الفكر والرؤية كذلك اهتمامه البالغ بالسجع ودوره في الكتابة الفنية ، مع تقليله من الشعر بسبب " الوزن لأن الوزن داع للترنم ، والترنم من باب الغناء ، والغناء رقية الزنا " [١].

ولذلك فالشعر طريق لسوء الأدب بسبب الوزن ؛ ثم يعقب مباشرة بعد هذه الفقرة السابقة بقوله " وأما الكتابة فبعيدة عن هذا كله " [٢] ، ولذا فهي أسلم جانبًا وأكرم حاملاً ، وفي الوقت نفسه نجده يحتفي بالسجع ، ويعقد له فصلا مطولاً في كتابه مفصلاً لأنواعه ولقيمته في النثر الفني قائلاً ومناقضًا لنفسه.

" كما لا يقدح في النظم تكلف الوزن والقافية ، كذلك لا يقدح في النثر تكلف السجع " [٣] ؟!

ومن المعلوم والبديهي في الدرس الأدبي القديم قبل الحديث ؛ أن السجع في النثر كالقافية في الشعر ، والقافية هي تاج الموسيقى الخارجية في العمل الشعري ومنها يحدث النظم والترنم ، وهو عينه ما تتركه الفواصل على اختلافها في السجع مع النثر – ولذا يقول العلماء :

" فقد كانت العرب تُفضِّل الكلام المسجوع لما فيه من رنين ودلالة في القدرة اللغوية والفصاحة " [٤].

بل ويجعله ابن جني سبب سهولة حفظ الأمثال قائلاً : " إن المثل إذا كان مسجوعًا لذَّ لسامعه فحفظه، فإذا هو حفظه كان جديرًا باستعماله ، ولو لم يكن مسجوعًا لم تأنس النفس به[٥] " وقال إن هذا الفن من أشرف فصول العربية وأكرمها ، وأعلاها " [٦].

ويؤكد ذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي قائلاً : " سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن " [٧] مما يدل على قيمته في الشعر والنثر وكل ذلك يرد قول الكلاعي في اتهامه للشعر بسبب السجع .

---

(١) السابق ، ص/ ٣٨ .

(٢) السابق ، ص/ ٣٦ .

(٣) السابق ، ص/٢٣٦ وما بعدها .

(٤) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، العلوي ، تح/ جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط الأولى سنة ١٩٨٠م ، ج/٣ ، ص/٢١ .

(٥) (٣) الخصائص لابن جني ، تح : أ/ محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، المكتبة العلمية ، ج/١ – ص/٢١٦ ، وما بعدها .

(٧) كتاب العين ، للفراهيدي ، تحقيق : د/ مهدي المخزومي ، د/ إبراهيم السامرائي سنة ١٩٩٣م ، ج١، ص/٢١٤ ، مادة (سجع) .

وهنا يثبت البحث بُعد الكلاعي عن النزاهة في عرض الأفكار لأسباب نفعية خاصة بطبقة الكتاب الفقهاء ، والذي راجت بضاعتهم ونفق سوقهم وعلت كلمتهم أيام حكم المرابطين " فالثقافة المسيطرة هي الثقافة الفقهية والمكانة السامية في الدولة صارت للفقهاء " [١] وفي المقابل ضعف الشعر وانحسرت مساراته .

(١) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/ ٥٩ .

المبحث الثاني

تداعيات التشدد المذهبي وأثرها في حركية الشعر زمن المرابطين

المطلب الأول : الشعراء وحِس الاغتراب : أحسَّ الشعراء بالاغتراب الزماني والمكاني في عصر المرابطين ؛ لعدم اهتمام الدولة ممثلة في الفقهاء أصحاب السلطة العليا والأمر والنهي في البلاد ، وكذا رجال السياسة من البربر الملثمين والذين لم يدركوا جمال اللغة ولا معاني الشعر كما سيتضح ، ففي هذا العصر أدرك الشاعر أنه خسر موقعه المرموق والذي كان قد وصل إليه في عصر الطوائف ، فأضحت العلاقة مأزومة بين الشاعر وعصر المرابطين العسكري الديني والفقهي المتشدد ، ومن ثم أحس إحساسًا مهينًا بالنقص والتهميش ففي هذا العصر (ضاع الأدب والشعر خاصة ... إذ أهملته السلطة لانشغالها في الحروب والفتن ... وقد تعرض فيه الكثير من الشعراء لحالات اجتماعية مرهقة دعتهم إلى حالتي قلق دائم ، وخوف مستمر ، ووسمت بعضهم بسمات غير سوية وبناء على هذه المسميات كانت حياتهم مغتربة)[١] ، فلم تعد الفرصة مهيأة أمام الشاعر ليحرز عند الأمراء منزلة سامية إلا أن يكون فقيهًا ... [٢].

ولا عجب في ذلك فطبيعة الملثمين – المرابطين– الخشونة والقسوة في سلوكهم وتصرفاتهم فقد اعتادوا البداوة والتعصب في معتقداتهم ، فلا يمكن أن تلين قناعتهم وتتكيف غلظتهم لمناخ الفكر المثقف في الأندلس ... [٣].

وبذلك نُوقن أن الشعر لم يكن بضاعة رائجة للأدباء بوجه عام ؛ أي أن شعراء البلاط الذين ينتظرون التشجيع المادي والمعنوي تراجعت دولتهم ، ومن ثم (هبطت منازل الشعراء في عصر المرابطين لأن السيد الجديد لا يجيد اللغة العربية ولا يتذوقها فكان من الطبيعي ألا يقدر الشعراء ولا يثيبهم ... " [٤].

ولذا أصيب الشعراء بالخيبة ، وكانوا يحسون أنهم يعيشون في زمن أدركه الهِرم[٥]، ولذلك كان من الطبيعي ، ومن باب مجاراة الأمر الواقع ومشاكلة الناس لزمانهم أن يزعم الكلاعي بما سبق عرضه أنه ترك الشعر تديناً وتنسكًا ويفضل عليه النثر خاصة فن الكتابة السلطانية والخطابة .

والمقصد أن انحسار الشعر وضعفه بسبب هذا التشدد من أتباع المذهب المالكي في دولة المرابطين

---

(١) المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي ، د/ محمد عويد محمد ساير الطربولي ، دكتوراه ، نشر مكتبة الثقافة الدينية ، ط الأولى ، سنة ٢٠٠٥م ، ص/ ٢٥٥ .

(٢) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/ ٦١ .

(٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، ص/٦٠ .

(٤) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/ ١٥٥ .

(٥) ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي ، ترجمة محمود مكي ، ص/ ٧٧ .

جَنَىَ على مرحلة هامة من شعرنا العربي كان المتوقع لها الازدهار والرقي خاصة بعد دولة الطوائف ، والتي توهج الإبداع الشعري في ظلالها .

وإذا أردنا دليلاً من التراث فنكتفي هنا بقول الشقندي وهو من علماء دولة الأندلس والقريب من المرابطين ت ٦٢٩هـ .

يقول الشقندي[١] في رسالته التي فاضل فيها بين الأندلسيين والبربر المرابطين: " ولولا توسط ابن عباد لشعراء الأندلس في مدح يوسف بن تاشفين ما أجروا له ذكرًا ، ولا رفعوا لمكانه قدرا ؟ وبعد ما ذكَرُوه بوساطة المعتمد ابن عباد فإن المعتمد قال له وقد أنشدوه : أيعلم أمير المؤمنين ما قالوه ، قال : لا أعلم ولكنهم يطلبون الخبز "[٢]. هذه واحدة .

ويقول أيضًا : (ولما انصرف عن المعتمد إلى حاضرة ملكه كتب له المعتمد رسالة فيها :

(البسيط)

بنتم وبِنّا فما ابتلَّت جوانحنا شوقًا إليكم ولا جفّتْ مآقينا

حالت لفقدكُمُ أيامنا فغدتْ سودًا وكانت بكم بيضًا لياليـنا

فلما قُرئ عليه هذان البيتان ؛ قال للقارئ يطلب منا جواري سودًا وبيضًا ؟ ، قال : لا يا مولانا ، ما أراد إلا أن ليله كان بقرب أمير المسلمين نهارًا لأن ليالي السرور بيض ، فعاد نهاره ببعده ليلاً لأن أيام الحزن ليال سود ، فقال : والله جيد ، اكتب له في جوابه : إن دموعنا تجري عليه ، ورؤوسنا توجعنا من بُعده ...) [٣].

وهذا النص التراثي من ناقدٍ ، وشاعر ، وعالم قريب من زمن المرابطين ليؤكد أن المرابطين اتسموا حقًّا بالخشونة والقسوة في سلوكهم واعتادوا البداوة والتعصب في معتقداتهم [٤] ، ومن ثم (كانوا بالفعل أعداء طارئين على الشعر الأندلسي) [٥].

فقراءة النص السابق قراءة تحليلية بعد دراسة حالة العصر دراسة مستفيضة نستنتج منه الآتي :-

---

(١) هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد ، وشقندة المنسوب إليها قرية مطلة على نهر قرطبة مجاورة لها من جهة الجنوب ، كان قاضيًا ، شاعرًا ، جامعًا لفنون العلوم القديمة والحديثة ، مات بإشبيلية سنة ٦٢٩هـ ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري التلمساني ، تح: إحسان عباس ، ج/٣ – ص/٢٢٢ – الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م .

(٢) السابق ، ص/ ١٩١ .

(٣) نفح الطيب ، للتلمساني ، تح : إحسان عباس ، ج/٣– ص/١٩١– ١٩٢ .

(٤) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، ص/٦٠ مرجع سابق .

(٥) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، د/ حكمة الأوسي ، ص/١٢ مرجع سابق .

* لم يبادر الشعراء إلى مديح يوسف بن تاشفين – أمير دولة المرابطين في الأندلس– لعدم تذوقه وفهمه لما يقولون لولا تدخل المعتمد بن عباد فمدحوه مجاملة .

* كل ما جال بخاطر يوسف بن تاشفين بعد مدْح الشعراء له أنهم فقط ما أتوا إلا لطلب الخبز وبذلك ما هو إلا مدح تكسبي فقط ؛ فهو القائل عنهم (لا أعلم ما قالوا ... ولكنهم يطلبون الخبز) .

* إذ لم يكن يُحسن قراءة الشعر إذ كان له قارئ يقرؤه له .

* وحتى بعد أن قُرئ عليه شعر (المعتمد بن عباد) والذي يخاطب فيه الممدوح بلغة الغزل ، كما كان يفعل المتنبي مع سيف الدولة الحمداني ، لم يفهم منه إلا أن المعتمد يطلب منه جواري سُودًا أو بِيضًا .

* نلاحظ الخشونة والشدة في رد التحية في دار ابن تاشفين على تحية المعتمد له . وما أعتقده إلا مجرد توقيع سياسي من رجل لا يقدر قيمة الشعر ولا طلاوة المعاني العربية ، وما ذلك إلا تأكيد على انحسار شعر المديح في دولة المرابطين خاصة أيام يوسف بن تاشفين .

فالشاعر المداح – أيام المرابطين – عانى أزمة ذات حدين ، مادي وفني فلم يعد ممدوحه ذلك الجواد الذي يهب على الإبداع ، ولا يقدر قيمة ما يُلقى في حضرته.

* ولا يغيب عن بالنا وضع الأندلس السياسي في هذه الفترة من الصراعات الداخلية والثورات وكثرة الحروب في الداخل والخارج .

ومن ثم أضحى " الشعراء يعيشون في زمن أدركه الهرم ، فلم يعد لهم فيه مكان"[١].

وخير مثال يوضح المقال هنا ؛ قول الأعمى التطيلي حاكيًا عن غربة الشعر والشعراء زمن المرابطين :

(من الطويل)

أيــا رحمتــا للشــعر أقــوت ربُوعُــهُ علــى أنهــا للمكرمــات مناســكُ

وللشــعراء اليــوم ثلــث عروشــهم فلا الفخر مختال ولا العز تامِكُ[٢]

---

(١) ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي– غرسه غومس ، ترجمة : د/ محمد مكي ، مرجع سابق ص / ٧٧ .

(٢) ديوان الأعمى التطيلي ، جمع وتحقيق : د/ محيي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، ط الأولى سنة ٢٠١٤م ، ص/ ١١٨ .

وقوله في معرض خطاب العاذلة : (من البسيط)

هبَّــتْ تُعــاتبني زَهْــرٌ وقــد عَلِمــتْ أن العتابَ شجي فـي القلب أو شجبُ

قالــت : قعـدت ، وقـام النـاس كُلُّهـمُ ألا يُعلِّلُـــــك الإثـــــراءُ والرُّتـــــب ؟

فقلــت : كُفّــي فمــا تُغْنــي مُقــارعتي فــي أزْمــة ضــاعَ فــي أثنائهــا الأدب

فاستضحكت ثم قالت : أنت في سعةٍ مـن أن تسـيم ، وهـذا المـاء والعُشـب

أمــا رأيــت نــدى حَــوَّاء كيــف دنــا بالغيث ، إذ كـاد يـأتي دونـه العطب[١]

إنه الشاعر ، يكف زوجته عن عَذِله ولومه فما تأخرت مكانته وما افتقر إلا بسبب ضياع دولة الأدب تحت سطوة الفقهاء ، وقسوة طباع البربر وخشونة ذوقهم المتلبد الجاف واليابس العاطفة والمتحجر المشاعر عن فهم الشعر وتذوقه .

ومنه شكوى الشاعر ابن بقي[٢] الأندلسي في زمن المرابطين (والذي كان لاغترابه صدى طيب وواضح في أشعاره) [٣] ، فقد نقل إلينا شعره مثالاً واضحًا لحال الشعراء في عصر المرابطين فهو خير مثال (للتشرد والضياع بأقصى صوره فلم يعرف طوال حياته الاستقرار .. وكان كثير الشكوى والتبرم مما آلم أعصابه وأثار سخطه وعمَّق غربته النفسية بشكل مُلح عنيف) [٤] " وما ذلك إلا بسبب ضياع الأدب وأهله في زمانه "[٥] .

---

(١) السابق ، ص/ ٤٩ .

(٢) هو أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن بن بقي – الأندلسي القرطبي ، قيل أصله من طليطلة ، وقيل من سرقسطة ، والغالب أنه من قرطبة ، كانت حياته رحلة دائمة ومستمرة ، للزيادة . ابن بقي حياته= وشعره ، د/ محمد مجيد السعيد ، مجلة المورد العراقية ، مجلد ٧، ع ١ ، سنة ١٩٧٨م ، من ص: ١٢٥ –١٥٢ .

(٣) المكان في الشعر الأندلسي ، ص/ ٢٦٢ .

(٤) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، د/ محمد مجيد السعيد ، ص/٢٢٤ – ٢٢٥ .

(٥) المكان في الشعر الأندلسي ، ص/ ٢٦٣ .

يقول ابن بقي الأندلسي[١] : (من الطويل)

أُكل بني الآداب مثلي ضائع؟! فأجعل ظلمي أسوة في المظالمِ

أم الظلم محمول عليّ لأنني طلبت العلى من قبل حلّ التمائمِ

لعمر أبيك الخير ما آمل الغنى للين لباس واحتفال مطاعمِ

ولكنما أملتها لصنيعة أسر بها نفس الصديق الملائم

ستبكي قوافي الشعر ملء جفونها على عربي ضاع بين أعاجم

ولا ذنب لي عند الزمان علمته سوى أنني للشعر آخر ناظم

توهمته عمرو بن هند وخلتني شقيا أتاه من وفود البراجم

ويلاحظ قوله : (من الطويل)

وطالبني دهري لأني زنتهُ وأني فيه غُرة فوق أدهم

وضيعني قومي لأني لسانهم إذا أفحم الأقوام عند التكلم[٢]

وهكذا نجد أن شعر الأعمى التطيلي وابن بقي وغيرهما ينقل إلينا وبصدق ما أحدثه عصر المرابطين من أثر سيء للغاية في الشاعر والشعر الأندلسي بسبب سيطرة الفقهاء بنزعتهم المتشددة على مقاليد الأمور في البلاد ، وإهمال الرؤساء المرابطين للشعر خاصة في عهد يوسف بن تاشفين ، والذي استمر حكمه ثمانيًا وثلاثين سنة من عصر الدولة المرابطية ، والذي ظل قرابة نصف قرن .

حتى قال الأعمى التطيلي فيهم : (من الطويل)

فيا دولة الضيّمْ أجملي أو تجاملي فقد أَصحَبَتَ تلك العري والعرائكُ

---

(١) ابن بقي حياته وشعره ، د/ محمد مجيد السعيد ، ص/ ١٤٦ .

(٢) السابق ، ص/ ١٤٧ .

ويا " قام زيد" أعرضي أو تعارضي فقد حال من دون المنى : "قال مالكُ"[١]

إشارة إلى سطوة الفقهاء المالكية بآرائهم المتشددة على البلاد " فقام زيد " رمزية للفكر اللغوي والإبداع الشعري (على عهد الطوائف) .

و" قال مالك " رمزية ساخطة لسطوة المذهب المالكي وتشدده وموقفه من الفكر الفلسفي والشعري كما اتضح من خلال عرض آراء الكلاعي في إحكام صنعة الكلام ...

مع الأخذ في الاعتبار أن إحساس الشعراء بالاغتراب في زمن المرابطين كان سببًا من ناحية أخرى في قوة بعض الأغراض الشعرية بعينها من مثل الهجاء ، رثاء المدن والممالك الزائلة ، والشعر الديني ، كما سيتضح في حينه .

(١) ديوان الأعمى التطيلي ، تح وجمع / د: محيي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٤م ، ص/ ١١٨ .

المطلب الثاني

الهجرة المكانية

والتي ظهرت واضحة عند شعراء العصر مثل ما نجده عند ابن خفاجة الأندلسي ، والأعمى التطيلي ، وابن بقي ، والمعتمد بن عباد ، وابن حمديس الصقلي ، وابن الزقاق مما نتج عنه " كثرة شعر الغربة والحنين إلى الأوطان في عهد المرابطين " (١).

نعم لما بدا الشعر الأندلسي ، وكأنه يلفظ أنفاسه الأخيرة في عهد المرابطين .. وانطوى على نفسه إلى حين ... وجدنا موجات الهجرة من الأندلس إلى المشرق ، وخاصة مصر والشام أمرًا ملحوظًا من أمثال : ابن خاقان صاحب القلائد والذي طالما كان يحلم بالاستقرار ويحن إلى وطنه (٢) ؛ وأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني ، وأبي بكر الطرطوشي فلم يكن للشعر الأندلسي في عصر المرابطين محيص عن أن يضمحل ويعيش على ماضيه (٣).

يقول غرسيه غومس : " لم يعد للشعراء مكان في عهد المرابطين ، وكانوا يحسون أنهم يعيشون في زمن أدركه الهرم ، فلجأ فريق منهم إلى الهجرة من أوطانهم"(٤).

المطلب الثالث

الهروب للشعر الشعبي بدلاً عن الشعر الرسمي

هرب الشعراء إلى بدائل عن الشعر الرسمي ، والذي اضمحل في عهد المرابطين إلى الاتجاه الشعبي المتمثل في الموشحة ، والزجل .

يقول د/ سعد شلبي : " وهناك ظاهرة جديدة بالاهتمام ، ولها دلالتها القوية على تأثر الشعر بالحالة الثقافية التي كانت تسيطر على عصر المرابطين ، وأعني به النشاط الكبير الذي حظيت به الموشحات والأزجال ، وأراه دليلاً على هبوط المستوى الثقافي نفسه ، فما كان لأصحاب الموشحات والأزجال أن ينظموا هذا الوزن لو أنهم في زمن الطوائف بين يدي أمثال المتوكل والمعتمد بن عباد ، وعليه فإن

---

(١) للزيادة والتفصيل ، المكان في الشعر الأندلسي – د/ محمد عويد الطربولي ، ص/٢٧٠ (مبحث الغربة والحنين) ، والشعر في عصر المرابطين والموحدين ، د/ محمد عيد السعيد ، ص/٢٢٠ وما بعدها .

(٢) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس لابن خاقان الأشبيلي ، تح ودراسة د/ محمد على شوابكة ، دار عمار مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ، ص/٩٦– ٩٧ سنة ١٤٠٣هـ سنة ١٩٨٣م .

(٣) الشعر الأندلسي بحث في تطور من خصائصه ، غرسيه غومس ، ترجمة د/ حسين مؤنس ، ص/٢٧– ٢٨ بتصرف .

(٤) ثلاث دراسات في الشعر الأندلسي ، ترجمة : د/ محمود مكي ، ص/ ٧٧ .

شيوع هذا اللون من الأدب دليل على طغيان ذوق العامة وانكماش ذوق الخاصة من عِلية القوم "[١] ، فكان هذا الفن الشعبي بحق ما هو إلا عملية بحث عن بدائل ومسارات هروبية من شعراء وجدوا أنفسهم مضطرين إلى استعمالها في العصر المرابطي الذي هبط فيه الذوق هبوطًا بالغًا [٢].

ويفسر ذلك كله " ابتعاد الشعراء عن بلاطات أصحاب السلطان الذي جعلهم أقرب إلى عامة الشعب ، ومن هنا ظهر الفن الشعبي الممثل في الموشحة وظهر إلى الوجود فن أكثر إمعانًا في الشعبية هو فن الزجل "[٣].

هذا والناظر في دراسة فن الزجل عند الأندلسيين في عهد المرابطين ليجد أن من أسباب ظهوره " عدم فهم الشعر الفصيح لدى كثير من سكان الأندلس من العامة والخاصة والأعاجم ، ولا سيما البربر الذين استولوا على مقاليد الأمور في عهد المرابطين ... فدعتْ الحاجة إلى ظهور فن يكون بمستوى تفكيرهم وإدراكهم ويلبي رغباتهم فكان ذلك هو فن الزجل "[٤].

وخير مثال على ذلك ابن قزمان والذي لاحظ ضعف الشعر الرسمي في عهد المرابطين فانتقل من المديح الرسمي الأرستقراطي إلى المديح الشعبي عن طريق الأزجال[٥].

ومن نماذجه الزجلية الشعبية ، قوله في مدح الوزير ربيع بن أبي سليمان :

عـن ربيـع نقـول لـك ذاك الأبــيض الأشــقر

صـــاحب العمامـــة المشـــاكل المنظـــر

الْمليـــح الأخـــلاق الحلــو بحَــال الســكر

الشَـــريف بعلـــمُ وللجـــود فتـــاك[٦]

---

(١) دراسات في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/ ٦٠ .

(٢) الشعر الأندلسي غرسيه غومس ، ترجمة د / حسن مؤنس ، ص/ ٣٢ .

(٣) ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي ، غرسيه غومس ، ص/ ٧٧ .

(٤) الزجل الأندلسي بين النشأة والتطور ، دراسة في أغراضه ، د/ جمعه حسين يوسف ، مجلة جامعة تكرين للعلوم الإنسانية ، العراق ، المجلد ١٧ ، العدد ٧ – تموز ٢٠١٠م ، ص/ ١٤٤ .

(٥) للتفصيل صورة الممدوح في أزجال بن قزمان د/ محمد عبد المنعم حمدان صوالحة ، فلسطين ، جامعة النجاح الوطنية ، سنة ٢٠١٣م .

(٦) السابق ، ص١٧ وما بعدها .

وكذا حلت الموشحة والأزجال محل القصائد الفصيحة ، وأقبل على الموشحة شعراء كثيرون في عصر المرابطين من أمثال ابن اللبانة ، والأعمى التطيلي ، وأبو بكر بن الأبيض .. ويؤكد ذلك ما أشار إليه آنخل جنثالث بالنثيا : فيما أسماه (الاتجاه الشعبي الدارج) ، قائلاً : إن لغة الأزجال في ذلك الوقت ليست لغة الشعر المعروفة التي كان المؤدِّبون يلقنونها للدارسين ، بل الدارجة التي كانت جارية على الألسن في قرطبة ، بما فيها من دعابات سوقية ، وعبارات مبتذلة ، وألفاظ المواخير، وعبارات الطلاب التي يستعملونها في مباذلهم .. ولا تخلو كذلك من ذلك اللغو الفارغ الذي تحفل به أحاديث البيوت ، ومن هنا كثر استعمال العجمية الأندلسية في الأزجال "[١].

وهذا تدن واضح لقصيدة المديح عبر تراثنا الشعري منذ العصر الجاهلي والأموي والعباسي ، والأندلسي، وعصر الولاة الفاتحين ، وعصر الدولة الأموية ، وعصر ملوك الطوائف ، وعصر الموحدين وما بعده ...

الأمر الذي يؤكد تراجع الشعر في عصر المرابطين من ناحية ؛ وخاصة شعر المديح كبناء هام مؤسس لحركة النص الشعري ونقده على مدار الشعر العربي ..

فالشاعر في عصر المرابطين أصبح يقول ما شاء في هذا الفن ، لأنه في مأمن من النقد الأدبي للإبداع ؛ فما عاد الشاعر يخشى النقد ، وإبداء الملاحظة على مدحه فليقل ما شاء ؛ فقد بارت الأذواق ، وتحول المديح من الخلفاء والملوك إلى أمراء المدن وحكامها ، وأضحى المديح أميريًا بعد أن كان ملوكيًا ، وهؤلاء أيضًا من المرابطين البربر الذين لا يفهمون الأدب ، وأصبحت لغة الشعر شعبية بما يوافق أذواق العوام كما عند ابن قزمان ، والذي رأى أنه لا مفر من استعمال لغة الكلام الدارجة حتى يقرب في أفهام الناس كافة باستخدام اللغة العامية الدارجة [٢].

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، آنخل جنثالث بالنثيا ، ترجمة د/ حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية ، بدون ، ص/ ١٦.

(٢) السابق ، صـ ١٥٨- ١٥٩ .

المطلب الرابـع

التأليف في تاريخ الأدب بدافع الخوف من ضياع دولة الشعر من المرابطين

* التعويض عن كساد الشعر وانحساره زمن المرابطين – بالتأليف في "تاريخ الأدب " مثَّل فيما أعتقد دافعًا قويًا يستنبطه القارئ المتأني لحركية التأليف الأدبي في عصر المرابطين ، فإذا كان الشعر قد انحسر أيام المرابطين ... وتم التضييق على الشعراء وشعرهم ، وكان من آثار ذلك أن هرع الأدباء إلى جمع التراث الأدبي في ظل دولة المرابطين ؛ وعليه يمكن القول بأن عصر المرابطين وإن لم يكن [١] عصر شعر وإبداع فإنه كان عصر تدوين لتاريخ الأدب شعره ونثره ففيه ألف ابن بسام ذخيرته ، وابن خاقان قلائده ، وكأن كل منهما قد أحس ما يهدد بلاده من الضياع ، فنهض كلا منهما يصون ذخائره، ويخلد كنوزه [٢].

قلت : ويؤيد ذلك ويبرهن عليه تحديد الإطارين الزماني والمكاني في الذخيرة ، فمنهج ابن بسام (ت سنة ٥٤٢هـ) يتضح من الإطار الزماني المحدد فقط بأدباء الأندلس المقيمين ، أو الوافدين من المشارقة دون غيرهم ، وهو في ذلك يقتفي أثر الثعالبي في يتيمة الدهر ، والذي جعله لأدباء القرن الرابع الهجري فقط ، وتتضح نزعة الخوف من ضياع تراث الأدب في عهد المرابطين عند ابن بسام في قوله عن سبب تأليفه الذخيرة " لغيرته لهذا الأفق الغريب ، أن تعود بدورُه أهِلَّة ، وتصبح بحارُه ثمادًا مضمحلة مع كثرة أدبائه ، ووفور علمائه .

لذا أخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري وتتبع محاسن أهل بلدتي وعصري ... [٣] " .

وكذا الأمر نفسه نجده عند الفتح بن خاقان (ت ٥٢٩هـ) ، فكتاباه قلائد العقيان ومطمح الأنفس تاريخ للأدب وتراجم خاصة بأدباء عصر المرابطين .

يقول د/ محمد على شوابكة عند تحقيقه لكتاب مطمح الأنفس : " وسبب تأليفه لقلائد العقيان ما لاحظه " الفتح " من خمول الأدب في تلك الفترة والإعراض عنه إلى أغراض أدنى منه فصمم على أن يحفظ لهذا الأدب رونقه ، بتأليف يجمع أروع ما نظم وكتب أدباء الأندلس في القرن الخامس الهجري والربع الأول من القرن السادس الهجري لأنه رأى إهمال الناس للأدب ... " [٤].

---

(١) ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي غرسيه غومس ، ص/ ٧٧ .

(٢) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/ ٦٠ ، وثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي غرسيه غومس ص٧٧ .

(٣) الذخيرة لابن بسام ، تح : د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت سنة ١٩٩٧م ، القسم الأول ، ج/١ – ص/١٢ .

(٤) مطمح الأنفس ومسرح التأنس في طمح أهل الأندلس – للفتح بن خاقان ، دراسة وتحقيق : د/محمد علي شوابكة ، دار عمار– الأردن – مؤسسة الرسالة ، ط الأولى سنة ١٩٨٣م، ص/٦٦ .

ويؤكد الفتح نفسه ذلك في مقدمة كتابه القلائد قائلاً عن سبب تأليفه : " ولما رأيت عِنَانُه – يعني الأدب – في يَد الامتهان ، وميدانهُ قد عَطِل من الرِّهان ، وبَواترُه قد صَدئت في أغمادها ، وشُعلَهُ قد قذيتْ برمَادها تداركتُ منه الذِّماءَ الباقيَ ... وأنتجت منه لُمعًا ... ، وانتقيت من توليده المخترعِ ، وتجويده المستبدع..." [١].

وفي المطمح نجده يؤكد ما سبق قائلاً عن سبب تأليفه : " إنه كان بالأندلس أعلام ، فُتنوا بسحر الكلام، ... ثم هووا فى مهاوي المنايا ، وانطووا بأيدي الرزايا ، وبقيت مآثرهم غير مثبتة في ديوان ، ولا محملة في تصنيف أحد من الأعيان ... إلى أن أراد الله إظهارها واتصال صدورها بأعجازها ... " [٢].

ومن ثم فإن هدف ابن خاقان " الحفاظ على رونق الأدب والحيلولة بينه وبين الضياع ... خاصة لما رأى انزواء الناس عنه إلى غيره وإهمال الناس له... "[٣].

يقول غرسيه في كتاب الشعر الأندلسي :

(بدا وكأن الشعر الأندلسي يلفظ أنفاسه الأخيرة – في عهد المرابطين كأن كيانه ناء بثقل النازلة ، وانطوى على نفسه إلى حين ، فانصرف نفرٌ من أهل العناية والضبط إلى تخليد كنوز هذا الأدب الأندلسي وصان محصوله الزاخر من الضياع ، ومن هنا كان هذا العصر عصر تصنيف المختارات العظيمة كالذخيرة ... وقلائد العقيان ...) [٤].

***

---

(١) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ، لابن خاقان ، تح : د/ حسن يوسف خريوس ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط الأولى سنة ١٩٨٩م ، ص/٤٤- ٤٥ .

(٢) مطمح الأنفس ومسرح التأنس– للفتح بن خاقان ، ج/١– ص/١٤٧– ١٤٨ في خطبة الكتاب= = للفتح – ترجم ابن خاقان في قلائد العقيان لأربعة وستين أديبًا عاشوا في القرن الخامس والربع الأول من القرن السادس الهجري بالأندلس .

وقد ألف المطمح ليكون استكمالاً واستدرَاكًا لمن غفل عن ذكرهم في القلائد للتفصيل المطمح ، ص/١/١١ وما بعدها . مقدمة المحقق .

(٣) مطمح الأنفس ، ص/ ٦٧ ، ٦٨ .

(٤) الشعر الأندلسي ، غرسيه غومسه ، ترجمة د/ حسين مؤنس ، ص/ ٢٧ .

لقد أثرت مؤلفات ابن بسام وابن خاقان تأثيرًا واضحًا في حركة تأليف الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي من أمثال صبح الأعشى ، ومسالك الأبصار ، ونهاية الأرب ، للتوسع . الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي د/ نضال النوافعة ، الأردن – جامعة مؤتة سنة ٢٠٠٨م .

المبحث الثالث

أثر التشدد المذهبي في الأغراض الشعرية والعاطفة في عصر المرابطين

مدخل : –

إن عملية التلقي للأغراض الشعرية في عصر المرابطين مع تشدد الفقهاء وعجمة الحكام لتؤكد ما يدعيه البحث هنا من انحسار وضعف الشعر في هذا العصر ، وبما يبرهن على أن الاغتراب النفسي والاجتماعي هو المفتاح الأمثل لقراءة ما تبقى من إبداع شعراء هذا العصر ، بما يسمح للبحث أن يطلق على ما حدث في هذا العصر ما يسمى بـ (تجفيف المنابع) الشعرية ، الأمر الذي أدى إلى عدم الانسجام بين الشاعر وبيئته الاجتماعية والسياسية والدينية المتشددة المتمثلة في فقهاء المالكية والتي أفتت بأن " الشعر داع لسوء الأدب ، وفساد المنقلب ... ، ويحمل الشاعر على الغلو في الدين حتى يؤول به إلى إفساد اليقين ، ويحمله على الكذب ، والكذب ليس من شيم المؤمنين ، والشعر إذا جعل مكسبًا لم يترك للشاعر حسبًا ... ولأن الشعراء يتبعهم الغاوون ، والشاعر المتكسب بشعره كالكلب، ومن معايب الشعر الوزن والقافية التي تدعو للطرب والغناء ، والشعراء لا يكتبون في بداية قصائدهم – بسم الله الرحمن الرحيم – تنزيها للشعر عن البسملة ..." [١].

كل ذلك وغيره مما عُرف في الفكر المالكي المتشدد في دولة المرابطين يجعل المتلقي حقًا يطلق على هذا العصر أنه عصر انحسار وضعف للشعر ، وضياع لمكانة الشعراء بسبب هذا الانغلاق والتشدد الديني فلم يكن " دخول برابرة الصحراء الملثمين " والمرابطين " الأندلس ضربة سياسية قاضية للاستقلال الأندلسي وحسب، بل كان كذلك كسوفًا ثقيل الظل للشعر الأندلسي وشعرائه في هذه الفترة"[٢] .

إن المتلقي للأغراض الشعرية عصر المرابطين قوة وضعفًا ، قلة وكثرة ، كمًا ، وكيفًا ، ليثبت لديه ما ذكره البحث هنا وأصر عليه من فكرته المطروحة ، فقراءته الواقع الشعري بتعمق وبروية وأناة في هذا العصر لتؤكد ذلك .

المطلب الأول : شعر المديح وأغراض أخرى :

١– فمثلاً شعر المديح – وهو السوق الرائجة للشعر والشعراء على مدار الإبداع الأدبي – أصيب بما يسمى " أزمة المُداح – فهو بصورة عامة مصاب بالضعف والسطحية والتكلف ... والشاعر ذاته عانى أزمة ذات حدين ، مادي وفني ، فالشاعر كان يدرك أن زعماء المرابطين ليسوا من التفهم والتبحر في اللغة العربية وشعرها خاصة ... " [٣].

---

(١) أحكام صيغة الكلام للكلاعي ، ص/ ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ بتصرف .

(٢) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، د/ حكمة الأوسي ، ص/ ١١ .

(٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، د/ محمد مجيد السعيد ، مرجع سابق ، ص/٧٩ ، وما بعدها .

٢- شعر المجون والخمريات : " أصيب بصدمة عنيفة أيام المرابطين أدت إلى انحساره والحد من تدفقه ، وانصراف الشعراء عن معالجته ... وذلك بسبب الطابع العام لسياسة الدولة من الروح الدينية والأسلوب الزاهد الجاد ... " (١).

٣- شعر الغزل : " فبالمقارنة مع عصر الطوائف وقوته واشتداده من غزل عذري وحسي ... نجد هذه النظرة في دولة المرابطين قد خفت نوعا ما ، واقتصرت على شعراء معينين ... وكان ما تبقى من شعرهم تقليديًا للغاية ، وشعراؤه هم من أبدعوا في هذا الفن بالأصل في دولة الطوائف ... وكله مقطعات ... ويغلب عليها الغزل الحسي ... " (٢).

٤- الشعر الفلسفي بنزعته التأملية : " نجده سطحيًا وضئيلًا وقليلًا جدًا.."(٣)؛ لأن الفلاسفة في الأصل كانوا عرضة للاضطهاد والقتل ، ولم يكن ثمة وجه للثقافة الإسلامية إلا فقه المالكية وفقط (فلم يهتم سلاطين المرابطين بالعلوم والفنون والآداب ، بل عمدوا إلى محاربة كل ما شجعه ملوك الطوائف ، فطاردوا العلوم والفلسفة الكلامية وجرموا هذه الكتب وأحرقوها علنا ... " (٤).

٥- شعر الشكوى : يكثر شعر الشكوى من الغربة المكانية عند الشعراء المرابطين ليجعلنا نشعر بعمق عقدة الازدواجية النفسية عند الشاعر بين حبه للمكان الأم وحنينه إليه ، وكراهيته الباطنة لمكانه الجديد لأنه انتقال من مكان مألوف محبب للنفس إلى مكان معاد لا يجد فيه الشاعر نفسه ولا إبداعه ، مما تولد عنه إبداع مزدوج مخلخل الرؤية فما اعتقد – وذلك أمر بديهي إذا ما ثبت أن قلق الشاعر واغترابه عن الواقع لا يكون إلا عندما يشعر بأن قيمته الذاتية لم تعد متوافقة وقيم المجتمع ، هنا يصبح الاغتراب همًا يختفي وراء حلم الشاعر ... مما يجعل الشاعر يعيش في حالة مضطربة وقاتمة في عالمه الداخلي من الاحتماء والانتماء ، القبول والرفض (٥).

---

(١) للتفصيل السابق ، ص/ ٢٠١ وما بعدها .

(٢) السابق ، ص/ ١٥٠ وما بعدها ؛ ولعلنا نلاحظ أن الدكتور هنا يحاول تجميل وجه شعر الغزل في عصر المرابطين .

(٣) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، مرجع سابق ، ص/ ٢٩٠ وما بعدها .

(٤) السابق نفسه .

(٥) للتفصيل : الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري ، دراسة اجتماعية نفسية د/ أحمد الفلاحي ، دار غيداء – الأردن – الأولى ٢٠١٣م ، ص٥١ .

المطلب الثانـي

كثرة هجاء الحكام ورجال الدولـــة

لما أيقن الشاعر بغربته في عصر المرابطين ، وثبت في خلده أن هؤلاء المرابطين البربر هم أعداء طارئون على الشعر الأندلسي ، ... فكان مضطرًا حينئذ ليصارع الخمول والبؤس فلم (يبق للشعراء إلا عزاء واحد هو أنهم كانوا يستطيعون أن يُعرضوا بالحكام وينشئوا القصائد الهجائية المليئة بالمرارة يهجون بها أولئك الفقهاء المنافقين[١].

وقد تنوع هذا الهجاء بين هجاء المرابطين وهم رجال الدولة ، وهجاء الفقهاء والوزراء ، ومن دار في فلكهم من رجالهم .

ومن أبرز هؤلاء الشعراء الهجايون في عصر المرابطين نجد أبا بكر يحيى بن سهل اليكّي ، وابن صارة ، وابن البُني ، وابن بقي ، والأعمى التطيلي ... الخ

ومن ذلك هجاء اليكّي[٢] للمرابطين جملة رؤساءَ ووزراءَ وفقهاءَ حيث عُرف بكثرة هجائه لهم [٣] ، ومن ذلك قوله :

فـي كـلِّ مـن ربَـط اللِّثـام دنـاءَةٌ ولــو أنــه يَعْلُــو علــى كِيــوَان

مـا الفخـرُ عنـدهمُ سـوى أن يُنـقّلَوا مــن بطـن زانيــةٍ لظَهـرِ حصَـان

المنتمـــــون لحِمْيَـــــر لكـــــنَّهمْ وضـعوا القـرونَ مواضـع التيجـان

لا تطلـــــبنَّ مرابطًـــــا ذا عفَّـــــةٍ واطلـبْ شُـعاعَ النـار فـي الغُـدْرَانِ

---

(١) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، د/ حكمة الأوسي / ص/١٢-١٣ .

(٢) هو أبو بكر يحيي بن عبد الجليل بن سهل اليكي من بلدة يكة أحد حصون مدينة مرسية ، شاعر خبيث اللسان ، عرف بالهجاء والكراهية للمرابطين بكثرة الترحال والتجول .

(٣) المُغرب في حُلَي المغرب – لابن سعيد المغربي – تح : د/ شوقي ضيف ، ط الرابعة ، دار المعارف ، ٢/ ٢٦٧، وانظر نفح الطيب ، للمقري ، تح / د/ إحسان عباس ، دار صادر / بيروت سنة ١٩٨٨م – ج/٣- ص٢٠٥ – ٢٠٦ .

وقوله :

إن المرابط لا يكون مُرَابطًا حتى تراهُ إذا تراه جَبانا[١]

تجلُو الرعيةُ من مخافة جوْره لجلائه إذ يلتقي الأقْرانا

إن تظلمونا نَنْتَصِف لنفوسنا يجْني الرِّجالُ فنأْخذ النِّسْوَانا

ولكثرة هجائه في رجال عصره قال عنه ابن سعيد : (هو ابن رومي عصرنا ، وحطيئة دهرنا لا تجيد قريحته إلا في الهجاء ، ولا تنشط به في غير ذلك من الأنحاء "[٢].

ومنهم الشاعر المعروف بابن البُني[٣]، وهو صديق ابن اليكي الشاعر السابق والذي كان الهجاء سمة بارزة في أغراضه الشعرية [٤] ؛ وخاصة الفقهاء ، فقد أكثر من هجائهم لعلاقته السيئة والمتوترة معهم بسبب سلطتهم الدينية ، وإبعاد الشعراء عن جوار السلطة ومن ذلك قوله في فقهاء المرابطين :

(من بحر الكامل)

أهل الرياء لبستموا ناموسكم كالذئب أدلج في الظلام العاتم

فملكتموا الدنيا بمذهب مالك وقسمتموا الأموال بابن القاسم

وركبتموا شهب الدواب بأشهب وبأصبغ صيغت لكم في العالم[٥]

وقوله عنهم بعد الثناء على الإمام مالك : (من بحر الكامل)

قل للإمام سنا الأئمةِ مالك نور العيون ونزهة الأسماعِ

---

(١) المُغرب في حلي المغرب ، ٢٦٨/٢ .

(٢) السابق ٢٦٦ .

(٣) هو أحمد بن الحسن بن شقير ، وكنيته أبو جعفر ، عربي صليبة دخل أسلافه الأندلس في فترة ربما هي فترة الفتح .. عُرف بالتهتك والتحلل والخلاعة ... وهو في هجائه عند الأندلسيين كدعبل عند المشارقة ... توفى سنة ٤٨٧هـ حرقاً ، للتفصيل : ابن البُني شاعر الهجاء في عصر المرابطين ، د/ إحسان ذنون عبد اللطيف السامري ، مجلة المورد العراقية ، مجلد ٣١ ، عدد ٢ – ٢٠٠٢م ، ص٨٦ .

(٤) للزيادة ، السابق ، ٢/ ١٢٧ .

(٥) السابق ، ص/ ٩٥ .

لله درُّك مـــن همـــامٍ ماجـــدٍ قـد كنـت راعينـا فـنعم الراعـي

فمضـيت محمـودَ النقيبـة طـاهرًا وتركتنـا قنصًـا لشـر سـباع

أكلـوا بـك الـدنيا وأنـت بمعـزلٍ طـاوى الحشـا متكتـف الأضـلاع

تشـكوك دنيـا لـم تـزل بـك بـرةً مـاذا رفعت بهـا مـن الأوضـاعِ[١]

ومنه قول ابن خفاجة :

درسـوا العلـوم ليملكـوا بجـدالهم فيهـا صـدور مراتـبٍ ومجـالسِ

وتزهّـدوا حتـى أصـابوا فرصـةً فـي أخـذ مـال مساجدٍ وكنـائس[٢]

هذا وقد كان للنثر الفني نصيبه من هجاء المرابطين ورجال الدولة فكما كان الهجاء في الشعر كان كذلك بالنثر ، دلالة على عدم الرضا عن المرابطين وسياستهم، ومن ذلك مثالاً لا حصرًا :

– رسالة ابن أبي الخصال [٣] وقد (أفحش فيها على المرابطين ، وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة) [٤].

– رسالة الشقندي والتي يسخر فيها من عدم فهم قائد دولة المرابطين للشعر ومعانيه [٥] ويتهمه بجفاء الطبع ، وغِلظ البدواة .

***

(١) السابق ، ص/ ٩٤ .

(٢) ديوان ابن خفاجة الأندلسي – تح : د/ عبد الله سنده ، دار المعرفة – بيروت – ط الأولى سنة ٢٠٠٦م ، ص/ ١٨٣ .

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي ، شرحه وحققه د/ صلاح الدين الهواري ، المكتبة العصرية – بيروت – ط الأولى سنة ٢٠٠٦م ، ص/ ١٣٤ .

(٤) السابق نفسه .

(٥) نفح الطيب ، للمقري – تح : د/ إحسان عباس ، ج/٣ ، ص/١٨٦– ١٩١–١٩٢ وما بعدها .

المطلب الثالث

" فن الرثاء "

وكثر الرثاء بأنواعه في عصر المرابطين (فقد توسع فن الرثاء) في هذا العصر من رثاء النفس ، أو من الرثاء الاجتماعي ، للأحباب ، والأصدقاء ، والزوجات وحتى الدواب والكلاب ، والأثاث[١].

أو رثاء المدن وسقوطها سواء على أيدي النصارى ، أو على يد المرابطين أنفسهم ، وما أظن هذه الكثرة في شعر الرثاء إلا عملية استبدال وتعويض لضعف الشعر فيما سبق ذكره ، فوجد الشعراء هنا مسارًا هروبيًا – غير مُحرَّم ولا مكروه – من الفقهاء ولا الدولة فاتجهوا إليه رغمًا عنهم .

ويجب لفت الأنظار إلى أمر نقدي مهم للغاية ، بخصوص شعر الرثاء ألا وهو أن المرابطين أنفسهم كانوا سببًا مباشرًا وقويًا في إثارة عاطفة الحزن والأسى في نفوس شعراء دولة المرابطين فيما يخص (رثاء الممالك الزائلة) عندما دخلوا إلى بلاد الأندلس واحتلوا إمارات ملوك الطوائف بفتوى من فقهاء المالكية .

فنجم عن ذلك شعرٌ كثيرٌ في رثاء ممالك الطوائف الزائلة ، ورثاء الأمراء الذين زالت دولتهم وسلبت عروشهم على يد المرابطين البربر [٢].

فقد أفتى فقهاء المالكية يوسف بن تاشفين بخلع ملوك الطوائف فأخذ يقضي عليهم الواحد تلو الآخر حتى قضى عليهم جميعاً ، وصارت الأندلس ولاية مرابطية ...) [٣].

وقد مثَّل فن الرثاء على يد شعراء من مخضرمي الدولتين دولة الطوائف ودولة المرابطين نتاجًا عزيزًا وصادقًا يحن بصدق لدولة الطوائف ويبغض المرابطين ؛ لأن دولة السابقين هي دولة الشعر والشعراء ببلاطاتها المختلفة والمتعددة ، وقد مثل ذلك مادة علمية قامت عليها دراسة جادة وفي بابها جاءت تحت عنوان :

رثاء ملوك الطوائف وممالكهم التي سقطت على يد يوسف بن تاشفين [٤].

هذا وعلى كثرة الشعراء الذين رثوا دول وأمراء الطوائف ، وما شاع في ديوانهم هذا من صدقهم النفسي والفني ، لكن البحث يعتقد أن أكثرهم صدقًا ومعاناة لهذه التجربة الإنسانية الحزينة .

---

(١) للتفصيل : الرثاء في الأندلس عصر ملوك الطوائف د/ فدوى عبد الرحيم قاسم ، فلسطين ، سنة ٢٠٠٨م ، ص/ ٣٥ ، وما بعدها .

(٢) المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، لابن عذارى المراكشي ، تقديم وتحقيق د/ محمد عرب ، دار الفرجاني ، بدون ، ص/٢٢ .

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/٨ .

(٤) الرثاء في الأندلس عصر الطوائف ، د/ فدوى عبد الرحيم قاسم ، فلسطين ، جامعة النجاح الوطنية سنة ٢٠٠٢م ، ص/ ١٣٣- ١٧٣ .

١- ابن اللبانة الداني (ت ٥٠٧هـ) في رثاء إشبيلية وأميرها المعتمد بن عباد بعد سقوط دولته على يد يوسف بن تاشفين .

٢- وابن عبدون (ت ٥٢٩هـ) في رثاء عمر بن الأفطس وابنيه المقتولين على يد ابن تاشفين وتجبره على بلاد الطوائف .

ومن ذلك قول ابن اللبانة : (من البسيط)

تبكي السَّماءُ بدمع رائح غاد على البهاليْل مِن أَبْناء عَبّادِ
على الجبال التي هُدتَّ قَوَاعدُها وكانتِ الأرضُ منهم ذَاتَ أوْتَادِ
عِرّيسةٌ دَخلتها النائبـاتُ على أساوِدَ منهمُ فَيها وآســـــــادِ
وكعبةٍ كانت الآمالُ تعمُرهـــــا فاليوم لا عاكفٌ فيها ولا بـــــادِ
ألقِ السّلاح وخل المشرفي فقد أصبحت في لهواتِ الضيغم العادي[١]

ولو رحنا نستعرض العاطفة عند ابن اللبانة في شعره الغزير في رثاء دولة بني عباد فنجد أن كل قصائده " تنضح بحزن دفين وشجن قاتل يكشف عن عواطف صادقة جاشت بها روحه فأتت بكل حزينٍ وباكٍ " [٢].

ومن قصيدة ابن عبدون الأندلسي[٣] في رثاء ابن الأفطس ودولته (من البسيط) :

الدهرُ يفجع بعد العيــن بالأثر فما البكاء على الأشبــاح والصور
أنهاك أنْهــاك لا آلُوك موعظة عن نومة بين نـــاب الليث والظفر
فالدّهر حربٌ وإن أبدى مُسالمة والبيضُ والسودُ مثل البيض والسمر

وهذه القصيدة تأخذ بتلابيب المتلقي وتشعر بجلال الموقف وقسوته لشدة صدقها الفني والنفسي ، وتعكس صورة البربر الغليظة في حكمهم للأندلس زمن المرابطين .

---

(١) ديوان ابن اللبانة الداني ، دراسة وصفية تحليلية ، ماجستير ، المملكة العربية السعودية – جامعة أم القرى – دكتوره: عواطف الصواف ، سنة ١٩٩٧م ، ص/ ١٣٥ .

ومن الشعراء الذين رثوا دولة بني عباد ابن حمديس الصقلي ، وأبو بكر بن عبد الصمد الجياني ، وغيرهم ممن عاصروا هذه الفترة .

(٢) الرثاء في عصر ملوك الطوائف ، ص/ ١٦٢ .

(٣) شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون ، تح : دينهرت دوزي ، طبع مدينة ليدن سنة ١٨٢٩م ، ص/٥ ، والنص في الذخيرة لابن بسام ق/٢ ، م/٢ ، ص/٧٢١ إلى ٧٢٤ .

المطلب الرابع

وصف الطبيعة

وأمَّا وصف الطبيعة : فمن أوسع أبواب الشعر غزارة في عهد المرابطين ، فقد كثرت القصائد الطوال في هذا الموضوع ، وانصرف الوصاف عن الاهتمام بجزئية صغيرة من جزئيات المنظر إلى توسيع رقعته التصويرية حتى تشمل المنظر كله...[١]

وهذا واقع لا مرية فيه ، ويُعد مزية تميز بها شعر وصف الطبيعة في عهد المرابطين ، بيد أن التأمل والقراءة الواعية حول هذا الغرض تضع أيدينا على حقائق نقدية مهمة ، منها التالي :

* كل شعراء وصف الطبيعة في عصر المرابطين ، هم بالأصل من شعراء عصر الطوائف اكتملت شاعريتهم وإبداعهم خلال هذا العصر الذي فتح أبواب الإبداع الشعري على مصاريعها ... من أمثال ابن خفاجة ، وابن صارة الشنتريني ، وابن الزقاق ، والأعمى التطيلي وغيرهم ...

* شعر الطبيعة في عصر المرابطين ذو اتجاه رومانسي أو رومانتيكي وجداني – هارب ورافض للوضع الاجتماعي المهين ، والمفروض على الإبداع الشعري في عصر المرابطين المتشدد بفقهاء المالكية ، والأبكم برؤساء العجم الذين لا يفهمون معاني الشعر ولا مراميه ، إضافة إلى حالة الحروب والثورات المستمرة في هذا العصر ، فالقارئ المدقق لشعر لطبيعة بين عصر الطوائف وعصر المرابطين يجد البون شاسعًا والهوة سحيقة ، ففي الأول ينطلق الشاعر من روح التفاؤل والبشر وحب الطبيعة ، ومن ثم كانت الطبيعة باسمة غَنَّاء ضاحكة يخلع الشاعر عليها نفسه ووجدانه الهادئ والمطمئن في خلال حكم الطوائف وعلى اختلاف هذه الإمارات ؛ أما في عصر المرابطين فالميسم العام المسيطر على الشاعر هو الاغتراب والقلق الوجودي وانعدام الاطمئنان ، ومن ثم نلاحظ صورة الطبيعة – عند تأملها – صاخبة ، حزينة ، متلونة بلون عاطفة الحزن عند الشاعر في عصر المرابطين [٢].

ويكأني بشعر الطبيعة في هذا العصر يمثل نوعًا من التحرر الفكري للشاعر من القيود الدينية والسياسية والاجتماعية في عصر المرابطين ، فوجد فيه ما يُبقي على القوى الذاتية الملهمة للإبداع من الضياع ، ولذلك اختلفت نظرة الشاعر المرابط للطبيعة (من تعمق الامتزاج بها وتشخيصها حتى تتحول إلى صدر أم حنون ، أو حضن حبيبة دافئ يشع محبة ووفاء ، أو قلب صديق مخلص ، يتسامر معها ، يناجيها، يشكو إليها ، يحبها يتشوقها ، ويتغزل فيها ، ولم تعد مجرد نظرة ألوان ونبات

---

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين ، د/ محمد محييد السعيد ، ص/ ١١٠ .

(٢) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/ ١٦١ .

وظواهر بل أخذت بُعدًا آخر ، يحوي عاطفة إنسانية حزينة [١].

ولعل النقد الحديث يؤكد هذه النظرة الذاتية ، فهروب الشاعر إلى الطبيعة يحقق للشاعر أن يُعد لنفسه مجالاً أكثر ملائمة لنشوئه وترعرع قواه الذاتية [٢].

إضافة إلى أن الشاعر عندما يبلغ أصعب مراحل التشاؤم ويبلغ به اليأس مبلغه، فإنه لا يجد ملجأ يلجأ إليه سوى الطبيعة ليبثها آلامه وأحزانه ويشكو إليها جور الحياة وظلم الناس [٣]. وهذا ما وجدناه عند ابن الرومي شاعر البؤس في هروبه إلى الطبيعة وهيامه معها فكانت معشوقته التي لا تبرح خياله ، ولا تنأى عن ناظريه ويستكين في أحضانها ساعة البأساء إذ تزحمه الهموم .... "[٤].

ومن هذا الضرب قصيدة الإيوان – السينية للبحتري والذي خلع عليها نفسيته المكلومة المغتربة القلقة[٥].

وفي الحديث نجد الكثير من شعراء المهجر وغيرهم ممن تغنوا بجمال الطبيعة ، وتماهوا معها لأنها كانت كانت سبيلهم للهروب من الظلم والعقبات الاجتماعية والغربة النفسية " .

وكذا كان الشاعر الأندلسي في عهد المرابطين مما يسمح بإقامة موازنة بين شعر الطبيعة عند المهجرين وفي عصر المرابطين ، مما يؤكد عملية التناص في الشعر العربي بين القديم والحديث .

قلت ، وليس أدل على ما ندعيه هنا من شعر الطبيعة تحديدًا عند ابن خفاجة الشاعر المبدع خلال عصر الطوائف والمرابطين .

فشعر الطبيعة عنده في عهده الأول في دولة الطوائف يغلب عليه " وصف الطبيعة الضاحكة ... والاستمتاع بالحياة والإغراق في ملذاتها ... أما في عهده المتأخر والذي قضاه في ظل المرابطين فنجد شعره يتجه وجهه مغايرة تمامًا ، حيث اتسم بمسحة رومانسية حزينة طبعت معظمه "[٦]. حتى في

---

(١) الشعر في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس ، ص/١٢٠ .

(٢) ظاهرة الغاب في الشعر العربي الرومانسي ، د/ أمير مقدم متقي ، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية ، وآدابها ، ع/ ٢٠ ، سنة ١٣٩٠هـ – ٢٠١١م ، ص/ ٧٢ .

(٣) التفاؤل والتشاؤم في شعر إيليا أبو ماضي ، ماجستير جامعة الخرطوم ، كلية الآداب سنة ٢٠٠٦م ، ص/ ٢٠٨.

(٤) ابن الرومي في الصورة والوجود ، د/ علي شلق ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط الأولى سنة ١٩٨٢م ، ص/ ١٢٤ .

(٥) النور والظلام في شعر البحتري ، د/ نوازد شكر الميزاني ، دار الزمان للطباعة والنشر – سوريا سنة ٢٠١٠م ، ط الأولى ، ص/ ١٣٢ ، وما بعدها .

(٦) تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي ، ماجستير ، الجزائر ، جامعة منتوري ، قسطية ، د/ فتحية دخموش ، ص ب ، ١٠٥ ، ٧٢ ، ٧٤ .

قصائده المدحية في ظل المرابطين فسرعان ما تتحول إلى قصائد غربة وحنين وكثيرًا ما يتردد فيها الشكوى والحسرة واجترار آلام للحاضر بتذكر آمال الماضي ... ومن ثم تحول شعر الطبيعة عند ابن خفاجة بين العهدين أيام الطوائف والمرابطين " فأصبحت الطبيعة ومظاهر الكون كئيبة مظلمة كذاته الحزينة فاندمج معها وتبعها آلامه وتفجعا به على ماضيه المشرق في أيام ملوك الطوائف .

وبالجملة يمكن القول إن شعر الطبيعة في عصر ملوك الطوائف عند ابن خفاجة وغيره تميز بـ " الألفة، والارتياح ، والانفتاح ، والفرح " .

وأما في عصر المرابطين فقد تميز غالبًا بـ " الغُربة ، والاختناق ، والقلق الوجودي– الشقاء والحزن "[١].

يقول أستاذنا الدكتور / مصطفى الشكعة : " لقد كان شعر الطبيعة مهربًا للشعراء ، وهم في أقصى حالات التفجع والتوجع ، وقد التفت شعراء الأندلس إلى هذا المنطق فسجلوا كثيرًا من قصائدهم ومقطوعاتهم التي مزجوا فيها الحسرة والألم بذكر الطبيعة "[٢]. وهذا هو ما يقصده البحث في شعر الطبيعة في عهد المرابطين – وخاصة شاعرهم الأكبر في وصف الطبيعة ابن خفاجة " فهو قمة شعراء الطبيعة في الأندلس كلها وخاصة في عهد الطوائف والمرابطين " [٣].

وما يؤكد كذلك الصدمة العنيفة التي أصيب بها ابن خفاجة وجعلته يصمت عن إنشاء الشعر مدة اضطراب شبه الجزيرة في أوائل عهد المرابطين ، والذين كانوا أعداء حقيقيين للشعر والشعراء ، قصيدته في وصف الجبل ومحاورته له خير دليل على ما يدعيه البحث هنا ، فقد خلع ابن خفاجة الحيرة والحسرة والضعف والحزن النفسي وأسقطها على الجبل كأنسنة للطبيعة وتماهى معها هروبًا من واقعه .

" ولذلك كان ابن خفاجة شاعر الطبيعة الأولى بين عصر الطوائف والمرابطين يرى الطبيعة في إطار الفناء ضمن إحساسه بالتغير ، وحسه الدقيق بينه وبين الماضي ... فقصيدة وصف الجبل ... يعبر فيها الشاعر عن استثقال الحياة ، ووحدته بعد ذهاب إخوانه " [٤] زمن الطوائف وفساد دولة الشعر في زمن المرابطين .

---

(١) السابق صـ ٧٩ و ٨١ .

(٢) الأدب الأندلسي ، موضوعاته وفنونه ، بيروت – دار العلم للملايين ، ط السادسة ، سنة ١٩٨٦م ، ص/ ٣٥٣ .

(٣) دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، ص/ ١٦٣ .

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، د/ إحسان عباس ، هذا ولابن خفاجة ثلاث قصائد تؤكد الغربة والقلق الوجودي بين زمن الطوائف والمرابطين قصيدتان في وصف الجبل ، والثالثة في وصف القمر للتفصيل السابق ص١٦٧ وما بعدها .

ويتجلى ذلك في قوله بأسلوب السرد والحوار والمنولوج مع الجبل :

أصـختُ إليـه وهـو أخـرسُ صـامتُ فحـــدثني ليـــل الســـرى بالعجائـــبِ

وقــال : ألا كَـمْ كنــتُ ملجــأ قاتــل ومـــــــوطن أوّاهِ تبتَّـــــــل تائـــــــب

وكـم مـرَّ بـي مـن مُـدلج ومـؤَوِّبٍ وقَـــالَ بظلـــي مـــن مطـــيٍّ وراكِـــبِ[1]

إلى آخر النص مما يتطلب قراءة تأويلية تتفق والتلقي لهذا النص المراوغ من شاعر يشتكي الغربة الفنية في عصر المرابطين ... وينعي مجده وعزه الفني ، والسياسي في عصر الطوائف الراحلين .

***

(1) ديوان ابن خفاجة الأندلسي تح / عبد الله سندة ، دار المعرفة – بيروت – ص ٤٩ .

المطلب الخامس

الشعر الديني

كثر الشعر الديني من الزهديات ، والنبويات وغيره في عصر المرابطين – كثرة مفرطة ... ولكنها كثرة كغثاء السيل لا نجد فيها روح الشعر ، وفنيّات الشاعرية الرقراقة ؛ وذلك لأن هذا الشعر في معظمه – فيما أظن – ما كان إلا مسايرة لطبيعة الدولة الدينية والتي سيطر عليها فقهاء المالكية وقد سبق القول أن دولة المرابطين "دولة فقهية دينية متشددة " ، ودولة عربية عسكرية من الطراز الأول ؛ مما أصاب المجتمع ككل بالاغتراب والذهول والدهشة وخاصة الشعراء الذين زالت دولتهم ومن مشاكلة الناس لزمانهم ؛ وجدنا " ثروة كبيرة في تراث الشعر الديني ، صدر عن شعراء وعن متشاعرين، فكان منه الغثُّ والسمين ، والرديء ، والجيد ، ومن ثم كانت ظاهرة الابتذال والركاكة والضعف في الشعر الديني واضحة بينة " [١].

ناهيك عن المقصد النفعي البعيد عن العاطفة الشعرية الخالية من صدق التجربة في هذا الشعر " فكثيرًا ما كان يتخذ الزهد كحيلة لصيد المراتب الاجتماعية والتمتع تبعًا لذلك بامتيازات اقتصادية مغرية ، ولا سيما إذا كانت السياسة العامة للدولة مشجعة على هذا التيار الزهدي " [٢].

ولذا كثر شعر الفقهاء والقضاة في هذا العصر " عندما وجدوا ميدان الشعر فسيحًا أمامهم خاليًا أو شبه خال من الفحول ، فكثر بينهم الشعراء وذلك كان أمرًا طبيعيًا بسبب تأخر طبقة الشعراء الحقيقيين وزوال دولتهم أيام المرابطين ، وعليه ظهرت طبقة الفقهاء والتي تثبت أقدامها ووقفت شامخة تأمر وتنهى "[٣].

وبالجملة يمكن القول إن شعر هؤلاء إنما هو من شعر العلماء الذي يغلب عليه الطبيعة النثرية ، ويخلو من روح الشعر والإبداع بمعناه الحقيقي [٤].

ولذا هجاهم ابن خفاجة في قوله : (من الكامل) :

درسوا العلوم ليحكموا بجدالهم فيها صُدور مراتبٍ ومجَالسِ

وتزهّدوا حتى أصابُوا فرصةً في أخذ مالِ مساجدٍ وكنائسِ

---

(١) الشعر في عهد المرابطين والموحدين بالأندلس ، د/ محمد مجيد السعيد ، ص/ ٢٥٨ .

(٢) الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، حكمة الأوسي ، ص/ ٢٠٥ .

(٣) دراسات أدبية د/ سعد شلبي ، ص / ١٥٣ .

(٤) ينظر التيار الإسلامي في الشعر الأندلسي ، ص/ ١٥٤ وما بعدها .

يقول د/ منجد مصطفى [١] " إن نشاط الأدب بدأ يخف شيئًا فشيئًا في عصر المرابطين فأصابه الخمول والضمور ... فأدبرت دولة الشعر في ظلهم ولم يكن له النصيب الذي أحرزته في ظل ملوك الطوائف ، وجرزت مياه الأدب الذي بلغ أقصى مداه في العصر السابق " .

هذا ومما يجب لفت الانتباه إليه ، أن الموقف العدائي من فقهاء المالكية وحَجْرِهِمْ على أي فكر فلسفي أو صوفي يحاول أن يهدم دولتهم وكيانهم الديني المتشدد ، حرم الشعر العربي في عهد المرابطين من (عبقرية الخيال) في الإبداع الشعري لوقوفهم المتشدد والمتصادم ضد المتصوفة [٢] مع أهمية التنكير بأن الصراع بين المتصوفة والفقهاء أعمق بكثير مما قد يظهر على الساحة بأنه أمر ديني – فلست أرى – والله أعلم – ذلك إلا من باب النفعية وخوف ذهاب المكانة التي وصل إليها أولئك الفقهاء زمن المرابطين ؛ ولذا لم يتجاوز الأستاذ / محمد عبد الله عنان الصواب عندما أطلق عليهم " أرباب الدكتاتورية الدينية "[٣] ، فلولا هذا الموقف العدائي للمتصوفة من قِبل المالكية لكان للخيال أثره في قوة الشعر في عصر المرابطين مما وجدنا بعد ذلك في أدب ابن عربي ، وأبي الحسن الشنتريني وغيرهم ، وكفى بنا أن نقرأ ديوان ترجمان الأشواق لندرك [٤] مدى ما يريده البحث هنا .

هذا والأمانة العلمية تفرض علينا أن ننوه بأن هناك غرضًا واحدًا فقط – فيما أعتقد – من الشعر الديني في عهد المرابطين قد تميز بالإبداع المتقن ؛ لأنه صدر عن صدق في العاطفة ومعايشة حقيقية للتجربة ، وذلك هو شعر الجهاد والمعارك الحربية بكل ما ينطلق تحته من وصف المعارك ومدح القواد، .. وطلب الشهادة ... الخ ، إضافة إلى أثر سياسة دولة المرابطين من الفقهاء والحكام نحو " الولع بالحروب والجهاد في سبيل الله ونشر الدين ؛ ومن ثم بدتْ صورة شعر الحرب أكثر إشراقا ونصاعة ، وخاصة منذ موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ حتى نهاية حكم المرابطين... " [٥]

وكما انعكس ذلك في الشعر بوضوح انعكس كذلك في النثر الفني أيام المرابطين .

---

(١) ديوانه ، ابن خفاجة الأندلسي ، مرجع سابق ، ص١٨٣ .

(٢) للتفصيل . السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين ماجستير الجزائر ، جامعة منشوري قسطنطينية ، كلية العلوم الإنسانية ، سنة ٢٠٠٨م ، ص/ ٢١٩ ، وما بعدها .

(٣) دولة الإسلام في الأندلس ، الأستاذ / محمد عبد الله عنان ، ج/٣ ، عصر المرابطين الموحدين ، مكتبة الخانجي ، ط٢ سنة ١٩٩٠م ، ٣/ ٤١١ .

(٤) للتوسع . بنية اللغة الشعرية في ديوان ترجمان الأشواق ، لابن عربي د/ أنور مصطفى أحمد ، سلسلة كتابات نقدية رقم ٢١٥هـ ، طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠١٤هـ ، ج/١، ٢ .

(٥) التيار الإسلامي ، ص/٤٣ ، ٢٦٤ ، وللتفصيل ينظر : الحض على الجهاد في الأدب الأندلسي في = = عصري الطوائف والمرابطين . د/ فاطمة مفلح مرشد ، ماجستير ، الأردن ، الجامعة الأردنية سنة ٢٠٠٧م .
والنثر الجهادي في عصر المرابطين ، د/ حازم عبد الله خضر – مجلة جامعة الموصل ، كلية الآداب – العدد (٣٠) سنة ١٩٩٧م ، ص/ ٢٦ إلى ٦٠ .

المطلب السادس

العاطفة الشعرية عند شعراء دولة المرابطين

وترتيبًا على ما سبق وإذا ما كان " للعاطفة دورها الفعال في تحديد الأغراض الشعرية وتوجيهها في النقد الأدبي قديمًا وحديثًا [١] ، فللشعر دواع تحث البطيء ، وتبعث المتكلف ، منها الطمع ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب ، ... فإن البحث ليؤكد هنا نضوب قريحة الشعراء غالبًا من عاطفة الرضا والطرب – فالواقع الاجتماعي والنفسي لحالة الشعراء يؤكد ذلك – وإنما العاطفة التي سيطرت على إبداع هذا العصر بأكمله عاطفة الغضب والحزن والأسى ، وقد ذكرنا سابقًا أن إبداع هؤلاء الشعراء مفتاحه الاغتراب ، والذي يعني الانفصال والانعزال من الشعر عن واقعه الاجتماعي بسبب سطوة الفقهاء وسيطرتهم على مقاليد البلاد ، إضافة إلى وجود رؤساء غلاظ الطبع لا يفهمون الشعر، ولا يتذوقونه مما يؤكد أن الشاعر في عصر المرابطين أصيب بالفشل كمبدع ، وبالاغتراب الروحي كفرد متميز في المجتمع .

قلت " وإذا كانت عاطفة الرغبة أو الطمع أو الرجاء ، من أكثر ضروب العاطفة التي تؤدي إلى كثرة الانتاج الشعري من حيث الغزارة والجودة ، الأمر الذي عاد بالخير الكثير على النقد الأدبي وأحكامه خاصة عند القدماء ... [٢].

فإن غرض المديح[٣] تحديدًا دون غيره من الأغراض قد تأخرت رتبته وتلاشت قيمته بسبب عجمة الرؤساء المرابطين وسطوة الدولة الحربية الفقهية العسكرية وتشدد الفقهاء مما مثَّل معاول هدم حقيقة لفن المديح ، ولأحكامه النقدية .

– **ولا ريب أن البحث يؤكد** أن الاغتراب هو المفتاح الذي يجب أن نضعه في خلدنا عند الدخول لشعر وشعراء عصر المرابطين ، فكان من الطبيعي لأدباء هذه الفترة أن يُصاب الشاعر بالذهول والصدمة إذ أصبح فجأة " يعيش في زمن أدركه الهرم ، فلم تعد له قيمة ولا مكان "[٤] وفي هذا " قَتْل لملكة الإبداع الذاتية لدى الشاعر، أو قل قتل للإلهام وربة الشعر التي تطفح على لسان الشاعر رغمًا عنه " [٥].

---

(١) العاطفة والإبداع الشعري دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، د/ عيسى علي العاكوب ، دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – ط الأولى سنة ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ص/٧٣ .

(٢) العاطفة والإبداع الشعري ، ص/ ٧٩ .

(٣) الشعر في عهد المرابطين ، مرجع سابق ، ص/ ٣٠٦ .

(٤) ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي – مرجع سابق ، ص/ ٧٧ .

(٥) للتفصيل (حول القوى الذاتية لدى الشعراء دراسة في آليات التأثير د/ مها محمد زكي ، مجلة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، العدد ٧٢ ، سنة ٢٠١٣م ، ص/٢٩ وما بعدها .

الأمر الذي يثبت أن النقلة السياسية من دولة الطوائف إلى دولة المرابطين ، كانت نقلة مُحبطة ومأساوية للشاعر وإبداعه لأننا أمام فئة نخبوية ذات تكوين نفسي متميزة عن غيرهم بموهبة الشعر الأمر الذي جعلهم في حالة قلق دائم وتوتر مستمر يستمد زخمه من الإحساس المغترب لضياع مكانة الشعر والشعراء في دولة المرابطين ، وتهميش الذات المبدعة ، والمقارنة بين ماض مشرق وحاضر مظلم مما جعل الشاعر في عصر المرابطين يستشعر شرنقة الذات العاجزة ، أو أزمة مواطنة في هذا المجتمع الفقهي العسكري المتشدد دينيًّا ، ومن ثم كانت علاقة الشاعر بالزمان والمكان علاقة مرفوضة ومأزومة ومضطربة مسكونة بالقلق الوجودي .

***

الخاتمة

بحول الله وقدرته وعونه ، وبعد هذه التطوافة الممتعة في مصادر ومراجع شعر الأندلسيين في عصر المرابطين ، ثبت للبحث والباحث أن ضعف الشعر وانحطاطه في دولة المرابطين في الأندلس كان سببه الأول والمباشر التشدد الفكري والجمود العقائدي ، والتحجر المذهبي من قبل فقهاء المالكية والذين سيطروا على مقاليد الأمور برمتها في دولة المرابطين... إضافة إلى بداوة وخشونة حكام الدولة الوافدين على بلاد الأندلس من البرابرة المغاربة بداية من عهد يوسف بن تاشفين إلى آخر دولة المرابطين في الأندلس ؛ وقد ظهر للبحث عدة نتائج من أهمها ما يلي :

(١) مصداقية آراء الباحثين من عرب ومستشرقين في تجني فقهاء المالكية على الإبداع الشعري زمن المرابطين ، إذْ كانت دولتهم دولة فقهية ، عسكرية ، حربية ، لا مجال فيها لتلقي جماليات الشعر وفيوضاته الوجدانية .

(٢) يُعد الكلاعي في كتابه إحكام صنعة الكلام من أشد فقهاء المالكية حملاً على الشعر وتجنيًا عليه ، وإنقاصاً من قيمته بما لم نعهده عند أي ناقد آخر من الأندلسيين أو المشارقة على سواء ، ولذا وقف البحث معه وقفة متعجل لإثبات فكرته .

(٣) تدني شعر المديح وذهاب رونقه في عهد المرابطين في مقابل ظهور الشعر الديني ، وشعر الحرب ، والشكوى ، وشعر الرثاء خاصة للمدن الزائلة على يد المرابطين.

(٤) لجأ الشعراء إلى مسارات هروبية ، وبدائل إبداعية بسبب تجفيف منابع الشعر والتنقص منه زمن فقهاء المرابطين ، فاضطروا إلى فن الأزجال ، وفن الموشحة .

(٥) مثَّل التأليف للكتب الأدبية (الموسوعات) من أمثال الذخيرة ، وقلائد العقيان وغيرها ... عملية تعويض عن الزخم الشعري في دولة الطوائف وغيابه زمن المرابطين ، بل لم يكن إلا نتاجَ خوف على ضياع الإبداع بالكلية في رحاب دولة لم تهتم بالشعر ولا برجاله – وإنما كانت وجهتها المتشددة للفقه والحرب والجهاد .

(٦) فصَّل البحث مدى ضيق الأفق ، ومحدودية الفكر الإبداعي والنقدي زمن المرابطين ، الأمر الذي جنى على حركية الشعر ، ومسارات الشعراء بما يؤكد أثر التشدد المذهبي السيئ على ضعف الشعر وانحطاطه زمن المرابطين في الأندلس بسبب تشدد فُقهاء المالكية .

وأخيرًا ، فما هذا إلا جهد مقل ، لا أدعي فيه الكمال وعذري أني بذلت قصارى جهدي ، فإن أصبت فهو التوفيق من الله وحده ، وإن أخطأت فلي شرف المحاولة والتعلم، والله أسأل العفو في التقصير – وهو واقع لا محالة .

رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله وبارك على سيدنا محمد

الباحث/ **محمد طه صالح خضر**

فهرس المصادر والمراجع

١- ابن الرومي في الصورة والوجود د/ علي شلق ، المؤسسة الجامعية للدراسات ، بيروت ، ط١ ، سنة ١٩٨٢م .
٢- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، تح/ شكري فيصل ، ط جامعة دمشق ، سنة ١٣٨٤هـ - ١٩٦٥م.
٣- أبو القاسم الكلاعي الأندلسي وجهوده الأدبية والنقدية في كتاب أحكام صنعة الكلام د/ عباس عبيد العامري ، العراق - جامعة كربلاء - كلية التربية - قسم اللغة العربية - على الشبكة العنكبوتية (النت) .
٤- الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين د/ مصطفى بهجت منجد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط الأولى ١٩٨٦م ..
٥- أحكام صنعة الكلام ، تحقيق د/ محمد رضوان الداية ، دار الثقافة ، بيروت ، ط١، ١٩٦٦م .
٦- الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، د/ حكمة علي الأوسي ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، بدون .
٧- الأدب الأندلسي في الموسوعات الأدبية في العصر المملوكي ، د/ نضال النوافعة ، الأردن ، جامعة مؤتة ، سنة ٢٠٠٨م .
٨- الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه د/ مصطفى الشكعة ، بيروت . دار العلم للملايين ، ط٦ - ١٩٨٦م .
٩- أشجع السلمي حياته وشعره ، د/ خليل بنيان الحسون ، دار المسيرة ، بيروت ، ط١ ١٩٨١م . .
١٠- الاغتراب في الشعر العربي في القرن السابع الهجري ، دراسة اجتماعية نفسية ، د/ أحمد علي إبراهيم الفلاحي ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط الأولى ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م .
١١- الأغاني للأصفهاني ، تح د/ إحسان عباس وآخرون ، ط دار صادر ، بيروت ، ط٣ ، ٢٠٠٨م .
١٢- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي ، تح أ/ مصطفى السقا د/ حامد عبد المجيد ، ق١ ، دار الكتب المصرية - القاهرة ، ١٩٩٦م .
١٣- بنية اللغة الشعرية في ديوان ترجمان الأشواق لابن عربي ، د/ أنور مصطفى أحمد ، سلسلة كتاب نقدية رقم ٢١٥ ، طبع الهيئة العامة لقصور الثقافة ٢٠١٤ م ، ج/١، ٢ .
١٤- البيان والتبيين للجاحظ ، تح/ عبد السلام هارون ، ط الحلبي وأولاده ، مصر ١٩٣٨م .
١٥- التاريخ السياسي للامبراطورية الموحدية ، للمستشرق الإسباني أمبروسيو هويشي ميراندا ، ترجمة عبد الواحد أكمير . منشورات دار الزمن . الرباط ، ط١- ٢٠٠٤م .
١٦- تاريخ الأدب الأندلسي ، د/ مصطفى السيوفي ، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ، القاهرة ٢٠٠٨م .

١٧- تاريخ الأدب الأندلسي عصر الطوائف والمرابطين ، د/ إحسان عباس دار الشروق ، عمان ، ط١ ، ١٩٩٧م .
١٨- تاريخ الفكر الأندلسي آنخل جنثالث بالنثيا ، ترجمة د/ حسين مؤنس ، مكتبة الثقافة الدينية – بدون .
١٩- تاريخ النقد الأدبي في الأندلس د/ إحسان عباس ، ط٢ ، ١٩٩٣م .
٢٠- تاريخ النقد ا لأدبي في الأندلس . د/ محمد رضوان الداية . مؤسسة الرسالة ، ط٢ ، ١٩٨١م .
٢١- ثلاث دراسات في الشعر الأندلسي ، غرسيه غومس ،ترجمة د/ محمد علي مكي . طبع المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٩م رقم الكتاب ١٠٨ .
٢٢- الخصائص لابن جني ، تح أ. محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، ج١ .
٢٣- الخليفة عمر بن عبد العزيز والشعر . د/ عبد الحميد المعيني . ط نادي أبها ، ط١ / ١٩٨٦م
٢٤- دراسات أدبية في الشعر الأندلسي ، د/ سعد شلبي ، دار نهضة مصر . الفجالة .
٢٥- دولة الإسلام في الأندلس الأستاذ/ محمد عبد الله عنان . عصر المرابطين والموحدين – مكتبة الخانجي ، ط ٢ – ١٩٩٠م .
٢٦- ديوان ابن خفاجة الأندلسي ، تح د/ عبد الله سنده ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ / ٢٠٠٦م .
٢٧- ديوان أبي نواس ، تح/ غويغور شولر ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ٦٢ ، ج١ .
٢٨- ديوان الأعمى التطيلي ، جمع وتحقيق / محي الدين ديب ، المؤسسة الحديثة للكتاب – لبنان ، ط١ – ٢٠١٤م .
٢٩- ديوان البحتري ، تح وشرح ، حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٦٠م .
٣٠- ديوان القطامي ، تح ودراسة د/ محمد الربيعي ، الهيئة العامة للكتاب ٢٠٠١م.
٣١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام التسنتريني ، تحقيق د/ إحسان عباس، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م .
٣٢- الرثاء الأندلسي في عصر ملوك الطوائف د/ فدوى عبد الرحيم قاسم . فلسطين ٢٠٠٨م .
٣٣- رسائل ابن حزم الأندلسي ، تحقيق ، د/ إحسان عباس ، المؤسسة العربية ، ط الأولى ١٩٨٠م
٣٤- رايات المبرزين وغايات المتميزين ، لابن سعيد الأندلسي ت ٦٨٥هـ ، تحقيق ، د/ محمد رضوان الداية ، طبع دار دمشق ، الأولى ١٩٨٧م .
٣٥- شرح ديوان حسان بن ثابت . البرقوقي . دار الكتاب العربي . بيروت . لبنان ، بدون .
٣٦- شرح قصيدة ابن عبدون لابن بدرون . تح/ دينهرت دُزي ، طبع مدينة ليدن / ١٨٢٩م .
٣٧- الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه ، غرسيه غومس ، ترجمة د/ حسين مؤنس . ط/ لجة للتأليف والترجمة والنشر . مصر . ١٩٥٢م .

٣٨- الشعراء الكتاب في العراق في القرن الثالث الهجري . د/ حسين صبح العلاق ، مؤسسة الأعلى، بيروت – ط ١/ ١٩٨٢م .
٣٩- شعر الكتاب في القرن الرابع الهجري د/ وفيقه بنت عبد المحسن الدخيل . مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض / ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٤٠- الشعر في عصر المرابطين والموحدين بالأندلس ، د/ محمد مجيد السعيد ، الدار العربية للموسوعات – بيروت – ط٢ / ١٩٨٥م .
٤١- شعراء عباسيون منسيون . د/ إبراهيم النجار ، دار الغرب الإسلامي ، ط١/ ١٩٩٧م .
٤٢- صورة الممدوح في أزجال ابن قزمان ، د/ محمد عبد المنعم حمدان صوالحة ، فلسطين . جامعة النجاح الوطنية / ٢٠١٣م .
٤٣- طبقات الشعراء لابن المعتز . تح/ عبد الستار فراج ، ط٣ ، دار المعارف .
٤٤- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق بالإعجاز ، العلوي ، تح/ جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية – بيروت – ط١ ، ١٩٨٠م .
٤٥- ظاهرة التكسب وأثرها في الشعر العربي ونقده ، د/ درويش الجندي ، دار نهضة مصر ، ١٩٧٠م ، ط١ .
٤٦- العاطفة والإبداع الشعري دراسة في التراث النقدي عند العرب إلى نهاية القرن الرابع الهجري ، د/ عيسى علي العاكوب ، دار الفكر المعاصر. بيروت . لبنان. ط١ ، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٤٧- العقد الفريد لابن عبد ربه ، تح د/ عبد المجيد الترجيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ١٩٣٩م .
٤٨- العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق ، تح/ محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط٥ ، ١٩٨١م .
٤٩- قصيدة المديح في الأندلس قضاياها الموضوعية والفنية ، عصر الطوائف ، د/ أشرف محمود نجا ، دار الوفاء الإسكندرية لدنيا الطباعة والنشر ، إسكندرية ، ط١ ، ٢٠٠٣م.
٥٠- قلائد العقيان ، د/ محاسن الأعيان ، لابن خاقان ، تح د/ حسين يوسف خريوش ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
٥١- كتاب العين ، للفراهيدي ، تح د/ مهدي مخزومي ، د/ إبراهيم السامرائي ١٩٩٣م .
٥٢- ما استدركته عائشة على الصحابة ، الإمام بدر الدين الزركشي ، تح وتقديم / مصيد الأفغاني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ – ١٩٧٠م .
٥٣- المُعجب في تلخيص أخبار المغرب ، عبد الواحد المراكشي ، شرح وحققه د/ صلاح الدين الهروي – المكتبة العصرية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٦م .
٥٤- معجم الشعراء للمرزباني ، تح/ المستشرق كرنكو ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٢م .

٥٥- المُغرِب في حلي المَغرب ، لابن سيعيد المغربي ، تح د/ شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط الرابعة ، بدون .

٥٦- المفاضلات في الأدب الأندلسي الذهنية والأنساق ، د/ آدي ولد آداب ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات . ط١ ، ٢٠١٢م .

٥٧- مفهوم الشعر في التراث العربي ، النشأة والتطور ، د/ أحمد حلمي عبد العليم ، سلسلة كتابات نقدية ، الهيئة العلمية لقصور الثقافة ٢٠١٣م .

٥٨- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تأليف التلميساني ، تح/ إحسان عباس ، دار صادر، ط١ ، ١٩٨٨م .

٥٩- النقد الموضوعي د/ سمير سرحان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠م .

٦٠- النور والظلام في شعر البحتري ، د/ نوزاد شكر الميزاني ، دار الزمان ، سوريا ، ط١ ، ٢٠١٠م .

٦١- الوزراء والكُتاب للجهشاري ، تح/مصطفى السقا وآخرين، ط سنة ١٩٨٢م .

٦٢- الوساطة بين المتنبي وخصومه ، تح وشرح أ. محمد أبو الفضل إبراهيم ، و أ/ علي محمد البجاوي . ط/ عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ١٩٦٦م .

الرسائل العلمية :

١- تجربة الغربة والحنين في شعر ابن خفاجة الأندلسي (ماجستير) الجزائر . جامعة منتوري ، قسطنطينة د/ فتحية خموش ٢٠٠٥م .

٢- التفاؤل والتشاؤم في شعر إيليا أبو ماضي ، ماجستير – جامعة الخرطوم – كلية الآداب ٢٠٠٦م .

٣- الجهاد في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين د/ فاطمة مفلح مرشد (ماجستير) الأردن ، الجامعة الأردنية سنة ٢٠٠٧م .

٤- ديوان ابن اللبانة الداني ، دراسة وصفية تحليلية (ماجستير) المملكة العربية السعودية – جامعة أم القرى ، عواطف الصواف ١٩٩٧م .

٥- الرسائل الإخوانية في عهد المرابطين دراسة فنية (ماجستير) الجزائر د/ عبد الرحمن غراب ، ٢٠١٧م

٦- السلطة والمتصوفة في الأندلسي في عهد المرابطين والموحدين (ماجستير) الجزائر ، جامعة منتوري قسطنطينية ، كلية العلوم الإنسانية ، ٢٠٠٨م .

٧- صورة المرأة في الشعر الأندلسي في عصر الطوائف ، اتجاهاته وخصائصه الفنية (دكتوراه) د/ نميري تاج لقمان ، السودان ، جامعة أم درمان ، كلية اللغة العربية ٢٠٠٥م .

٨- المعتمد بن عباد دراسة نفسية (ماجستير) الجزائر ، جامعة الإخوة منتوري قسطنطين ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية د/ محمد خيط ، ٢٠٠٥م .
٩- المكان في الشعر الأندلسي من عصر المرابطين حتى نهاية الحكم العربي ، د/ محمد عويد محمد ساير الطربولي (دكتوراه) مكتبة الثقافة الدينية ، ط١ ، ٢٠٠٥م .
١٠- منهج النقد في الفقه الإسلامي ، المذهب المالكي نموذجًا ، ودراسة تحليلية ، د/ صرموم رايح (دكتوراه) الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية ، ٢٠١٥م .

المجلات :

١- ابن بقي حياته وشعره . محمد مجيد السعيد . مجلة المورد العراقية م٧ ، ع١ ، ١٩٧٨م .
٢- ابن البُني شاعر الهجاء في عصر المرابطين د/ إحسان ذنون عبد اللطيف السامري، مجلة المورد العراقية م٣١ ، ع٢ ، ٢٠٠٢م .
٣- حول القوى الذاتية لدى الشعراء دراسة في أليات التأثير د/ مها محمد زكي ، مجلة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية ، ع٧٢ ، ٢٠١٣م .
٤- الزجل الأندلسي بين النشأة والتطور ، دراسة في أغراضه ، د/ جمعه حسين يوسف ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، العراق . المجلد ١٧ ، ع٧ ، تموز ٢٠١٠م .
٥- ظاهرة التكسب بالشعر وتجلياتها في النقد العربي القديم ، د/ رائد عبد الرحيم ، فلسطين جامعة النجاح . نابلس . مجلة جامعة الأزهر بغزة سنة ٢٠١٠م ، م١٢ ، ع١ .
٦- ظاهرة الغاب في الشعر العربي الأندلسي ، د/ أمير مقدم متقي ، مجلة الجمعية العلمية الاعرابية وآدابها ، ع ٢٠ ، ١٣٩٠هـ .
٧- المذاكرة في ألقاب الشعراء ، للمجد النشابي الأربلي ، الكاتب ، تح د/ شاكر العاشور ، مجلة المورد العراقية ، م١٥ ، ع٣ ، ١٩٨٦م .
٨- المفاضلة بين الشعر والنثر في التراث النقدي الأندلسي ، د/ شريف راغب العلاونة ، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، م١٨ ، ع٣٧ ، ٢٠٠٦م .
٩- النثر الجهادي في عصر المرابطين ، د/ حازم عبد الله خضر ، مجلة جامعة الموصل، كلية الآداب ع٣٠ ، ١٩٩٧م .

***

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
– المقدمة .	٥٤٥
– التمهيد وفيه : التنظير النقدي للفكر المتشدد في دولة المرابطين	٥٤٧
– مدخل .	٥٤٧
– بواكير الظاهرة عند ابن حزم .	٥٤٨
– ابن بسام .	٥٥٠
– ابن السيد البطليوسي .	٥٥١
ب – نقد فكر وليس نقد أشخاص .	٥٥٢
جـ – النقد الفقهي للتشدد المذهبي عند فقهاء المرابطين .	٥٥٤
هـ – شعراء دولة المرابطين هم بالأصل شعراء دولة الطوائف .	٥٥٦
المبحث الأول : الكلاعي وكتابه (الأحكام في صنعة الكلام نموذجًا تطبيقًا للتشدد الفقهي في عهد المرابطين .	٥٥٩
المطلب الأول : حول الكتاب .	٥٥٩
المطلب الثاني : الدين ضد الشعر .	٥٦٢
المطلب الثالث : التكسب بالمديح .	٥٦٤
المطلب الرابع : تعدي الضرر الأدبي من الشعر للنقد .	٥٦٨
المطلب الخامس : الادعاء بتنافر الشعر والكتابة .	٥٦٩
المطلب السادس : السجع عيب في الشعر .	٥٧٢
المبحث الثاني : تداعيات التشدد المذهبي وأثرها على حركة الشعر زمن المرابطين .	٥٧٤
المطلب الأول : الشعراء وحس الاغتراب .	٥٧٤
المطلب الثاني : الهجرة المكانية .	٥٨٠
المطلب الثالث : الهروب للشعر الشعبي بدلاً عن الرسمي .	٥٨٠
المطلب الرابع : التأليف في تاريخ الأدب بدافع الخوف من ضياع الشعر .	٥٨٣
المبحث الثالث: أثر التشدد المذهبي على الأغراض الشعرية والعاطفة زمن المرابطين .	٥٨٥
مدخل :	٥٨٥

المطلب الأول : شعر المديح وأغراض أخرى .	٥٨٥
المطلب الثاني : كثرة هجاء الحكام ورجال الدولة .	٥٨٧
المطلب الثالث : فن الرثاء .	٥٩٠
المطلب الرابع : وصف الطبيعة .	٥٩٢
المطلب الخامس : الشعر الديني .	٥٩٦
المطلب السادس : العاطفة الشعرية عند شعراء دولة المرابطين .	٥٩٨
– **الخاتمــة وأهم النتائـج** .	٦٠٠
– **فهرس المصادر والمراجع** .	٦٠١
– **فهرس الموضوعات** .	٦٠٦

****